

الطقوس الدينية السومرية وأثرها على تطور

العمارة الدينية في جنوب بلاد ما بين النهرين

محمد علي أبوشحمة

(الأكاديمية الليبية / مصراتة)

Mohamed.abushahma@academy.edu.ly

ملخص البحث:

يمثل الفكر الديني السومري حلقة في تطور الفكر الديني في بلاد ما بين النهرين، وهو نابع من مختلف التجارب التي واجهها سكان جنوب وادي الرافدين، فقد واجه السومري منذ البداية بيئة متغيرة لم تنعم بالاستقرار، فقد دفعت العوامل الطبيعية والمناخية الإنسان إلى البحث عن دفع هذه المخاطر، وإيجاد وسيلة للتحكم فيها، ومنذ البداية فقد أعطى السومريون للسماء أولوية خاصة في الفكر الديني، ويفسر ذلك على أساس أن السماء كانت مصدرًا للأمطار، وبالتالي مصدرًا أساسيًا لري الأراضي الزراعية، ومن هنا آمنوا بوجود تلك القوة التي تتحكم في السماء، واعتقدوا في وجود إله السماء آن، إلى جانب الاعتقاد في وجود قوى أخرى عديدة اتجهوا أيضًا إلى تأليهها، ولم يكتف بتلك القوى فحسب بل ذهبوا للاعتقاد أيضًا في وجود عدد ضخم من القوى المتحكمة في كافة مظاهر الحياة، ونتج عن تجسيد السومريين للمظاهر الطبيعية والكونية عدد كبير من الآلهة التي اعتقدوا أنها تُسير الوجود وتسيطر عليه، لعل من أهمها: أنو، انليل، أنكي، نانا، أوتو، إنانا، وغيرهم. وقد اتصفت الديانة السومرية بعدة صفات وسمات عامة منها: الحيوية، وتعدد الآلهة، والاستمرارية. ولتحقيق رضا الآلهة كان لابد من إجراء الطقوس والشعائر الدينية، فهي من أساسيات الدين. ومن أهمها: الطقوس اليومية، وطقوس المناسبات، والطقوس الجنائزية، والطقوس الدورية. وقد حظيت العمارة الدينية في بلاد ما بين النهرين بأهمية خاصة، باعتبار المعبد بيت الإله، ومهنة البناء كانت ذات طبيعة إلهية، بل أن هناك آلهة للبناء والبنائين، وارتبطت العمارة بمجموعة من العوامل الطبيعية والسياسية والاقتصادية، غير أن أهم العوامل التي كان لها الأثر الواضح على تطورها هي المعتقدات الدينية وما يرتبط بها من طقوس وشعائر، فقد كان دور العمارة موجهاً بالدرجة الأولى لخدمة الدين، وقد شيدت أولى المباني الدينية في مدينة أريدو، وهي تعود إلى دوري العبيد الأول والثاني، وعرفت بلاد ما بين النهرين نوعين من المعابد هما المعبد العالي أو معبد الزقورة والمعبد الأرضي.

مما تقدم تظهر مشكلة البحث عبر التساؤل الرئيس الآتي: كيف أثرت الطقوس والشعائر الدينية السومرية في تطور العمارة الدينية في جنوب بلاد ما بين النهرين؟ وعن هذا التساؤل تفرعت عدة أسئلة فرعية منها: كيف نشأت الديانة السومرية؟ وما خصائصها ومميزاتها؟ وما أهم الآلهة السومرية؟ وما أنواع الطقوس الدينية؟ وما أنواع العمارة الدينية؟ وكيف أثرت الطقوس الدينية على تطورها؟

تتجلى أهمية البحث في إلقاء الضوء على الفكر الديني السومري وما يتصل به شعائر وطقوس كان لها أثر في تطور مباني المعابد وتخطيطها المعماري، وكذلك إظهار جانب آخر من أهمية دراسة الفكر الديني، للتعرف على تطور مباني المعابد من خلال دراسة الفكر الديني، وما يمثله الفكر الديني السومري من أهمية باعتباره حلقة من حلقات تطور الفكر الديني في بلاد ما بين النهرين.

ويكمن الهدف الأساسي من الموضوع في كونه يتطرق إلى إيضاح دور الطقوس والشعائر الدينية في تصميم مباني المعابد السومرية وهندستها المعمارية، وكذلك الوقوف على نشأت الديانة السومرية، والتعرف على أنواع الطقوس الدينية.

وكان من دوافع اختيار موضوع البحث هو إبراز الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تطور المباني الدينية من خلال دراسة الفكر الديني السومري، هذا إلى جانب ما يمثله ذلك الفكر من أهمية في تاريخ الأفكار الدينية السائدة في بلاد ما بين النهرين، وما يشكله تاريخهم الحضاري من أهمية للتراث الإنساني، وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم إلى ثلاث جوانب الجانب الأول: يناقش الديانة السومرية من حيث نشأتها وخصائصها ومميزاتها وآلهتها. وأما الجانب الثاني: فيتناول الطقوس الدينية: التي تشمل طقوس يومية، وطقوس المناسبات، وطقوس دورية. وأفرد الجانب الثالث: للعمارة الدينية وأثر الطقوس الدينية على تطورها، وذيل البحث بخاتمة تضمنت أهم استنتاجات البحث، مع قائمة بمصادر ومراجع البحث وملحق للصور والمخططات والخرائط.

أما حدود البحث الزمانية فيتحدد بفترة العصر السومري القديم الممتدة من حوالي ٢٨٠٠ - ٢٣٧٠ ق.م، وعن حدوده المكانية فيشمل بلاد ما بين النهرين وبشكل خاص الأجزاء الجنوبية منها.

كلمات افتتاحية: الفكر الديني السومري، الطقوس الدينية، العمارة الدينية، بلاد ما بين النهرين.



Abstract

The Sumerian religious thought represents a link in the development of religious thought in Mesopotamia, which stems from the various experiences faced by the inhabitants of southern Mesopotamia. From the beginning, Sumerian faced a changing and unstable environment. Natural and climatic factors led humans to seek to prevent these dangers and to find a way to control them. At the early ages of their existence, the Sumerians gave the sky a particular priority in religious thought, and this is explained because the sky was a source of rain, and therefore a primary source for irrigating agricultural lands. Hence, they believed in the existence of that force that controls the sky, and believed in the existence of the God of Heaven, "An". Besides, they believed in the existence of many other forces, they also tended to deify them, and not only those forces, but they also went to believe in the existence of a vast number of forces controlling all aspects of life. Also, the Sumerians' embodiment of natural and cosmic manifestations resulted in many deities who believed that they governed and controlled the "existence", perhaps the most important of which were: Anu, Enlil, Enki, Nanna, Utu, Inanna, and others. The Sumerian religion was characterized by several characteristics and general features, including vitality, the multiplicity of deities, and continuity. In order to achieve the satisfaction of the gods, rituals and religious rites had to be carried out, as they are among the basics of religion. The most important are daily rites, occasions, funeral rites, and periodic rites. Religious architecture in Mesopotamia was of particular importance, considering the temple as the



house of God, and the building profession was of a divine nature. Indeed, there are gods of construction and builders, and the architecture is linked to a set of natural, political and economic factors. However, the most critical factors that clearly impacted its development are religious beliefs and rituals. The role of architecture was directed primarily towards the service of religion. The first religious buildings were built in the city of Eridu. It dates back to the first and second slave leagues, and Mesopotamia experienced two types of temples, the High Temple or the Temple of the Ziggurat and .the Earth Temple

KEYWORDS: Sumerian religious thought. Religious Rituals. Religious architecture. Mesopotamia.

الجانب الأول - الديانة السومرية: (نشأتها، خصائصها، آلهتها)

نشأة الديانة السومرية:

تعد الديانة من أهم مظاهر حضارة بلاد ما بين النهرين عامة والحضارة السومرية خاصة، يتضح ذلك من خلال المخلفات الأثرية والأدبية التي لا يكاد يخلو أثر منها من المؤثر الديني، فالأفكار والمعتقدات الدينية هي التي تحدد الهيكل العام لسلوك الإنسان وتؤثر في عاداته وتقاليده وأعرافه، ونمط بنائه الفكري والروحي، وقد انعكس هذا على الإنجازات الفنية والمعمارية سواء الدينية منها والدنيوية، وترتبط الديانة بعدة عناصر رئيسة هي الفكر الديني، وشعائر وطقوس العبادة، والمباني التي تمارس فيها تلك الطقوس والشعائر ألا وهي المعابد.

ساعدت النصوص الأدبية في فهم جوانب كثيرة من المعتقدات الدينية في بلاد ما بين النهرين، فقد تضمنت تلك النصوص القصص والأساطير الدينية والملاحم والتراتيل والصلوات، وما يتصل بها من أسماء الآلهة والأرواح الشريرة والخيرة، ونصوص الفأل وقراءة الطالع، والنصوص السحرية، ونصوص خاصة بكيفية إقامة الشعائر والطقوس الدينية، وأخرى خاصة بالاحتفالات والأعياد الدينية، ونصوص الرقى والتعاويذ وغيرها كثيرة، إضافة إلى ذلك هناك البقايا الأثرية التي قدمت معلومات وافية عن المعتقدات الدينية مثل: المعابد وما يلتحق بها من أثاث ومذابح وموائد للقرابين، والتماثيل، والنصب واللوحات الجدارية، والمشاهد الدينية المنقوشة على الأختام الأسطوانية والأواني الفخارية وغيرها.

وعلى الرغم من غزارة المعلومات عن الديانة، إلا أنّ هذه المعلومات تظل قاصرة عن إعطاء فكرة دقيقة عن نظرة السكان للديانة، وتطور الدين وطقوسه، وسلوكهم عند تطبيق تعاليمه، حيث إنّ ما لدينا يمثل بصورة عامة وجهة نظر رجال الدين فحسب.

ويمثل الفكر الديني السومري حلقة من تطور الفكر الديني في بلاد ما بين النهرين، وهو نابع من مختلف التجارب التي واجهها سكان جنوب وادي الرافدين، فقد بدأ السومري حياته في تلك المنطقة بإنشاء القرى وإقامة الحياة الزراعية والصناعية المستقرة فيها، ولكنه واجه منذ البداية بيئة متغيرة لم تنعم بالاستقرار، اتصفت بالتقلب والتغير المستمرين، ووصل مداها إلى درجة هددت حياة الإنسان، فبالإضافة إلى فيضانات نهري دجلة والفرات، شكلت الأمطار الغزيرة هي الأخرى خطراً وحولت الأراضي إلى مناطق موحلة من الطمي، هذه العوامل دفعت الإنسان إلى البحث عن وسيلة لدريء هذه المخاطر، وإيجاد وسيلة للتحكم فيها (الناضوري، ١٩٦٩).

ولقد أعطى السومريون للسماء أولوية خاصة في الفكر الديني، ويمكن تفسير ذلك على أساس أن السماء كانت مصدرًا للأمطار، وبالتالي مصدرًا أساسيًا لري الأراضي الزراعية، وقد عُبر في اللغة السومرية عن السماء بكلمة *An* ومن هنا آمنوا بوجود تلك القوة التي تتحكم في السماء وحملها الصفة الإلهية، وبذلك اعتقدوا في وجود إله السماء *An*، إلى جانب الاعتقاد في وجود قوى أخرى عديدة اتجهوا أيضًا إلى تأليهها، ومن أهم تلك القوى الفعالة في حياتهم الهواء والأرض والكواكب مثل: الشمس، والقمر، والنجوم، والبحار، والأنهار، ولم يكتف بتلك القوى فحسب بل اتجهوا إلى الاعتقاد أيضًا في وجود عدد ضخم من القوى المتحكمة في كافة مظاهر الحياة، واشتقوا صورتهم الأولى التي تصوروا بها تلك الكائنات من المجتمع البشري فاستدلوا من المعلوم على المجهول، وأطلقوا عليها اسم (دتجر) بمعنى إله (كريمير، د-ت؛ الناضوري، ١٩٦٩).

كان الدين السومري من أوائل الأديان ذات أنظمة ميثولوجية ولاهوتية وطقسية واضحة ومحددة ومتناسقة، وقد شكلت المعتقدات الدينية السومرية الشق النظري للديانة السومرية، بينما شكلت طقوسها وشعائرها الشق العملي، وشهدت تلك المعتقدات تطورًا مهمًا منذ الألف الرابع ق.م، حتى وصلت إلى شكلها المتماسك الدقيق مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، وتميزت بالمرونة فاستوعبت التغيرات السياسية والاجتماعية والحضارية التي حصلت خلال تلك الفترة (الماجدي، ١٩٩٨).

. خصائص الديانة السومرية:

اتصفت الديانة السومرية بعدد من الصفات والسمات العامة، ولعلّ أهم ما يميزها:

أ - الحيوية:

بمعنى الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح كامنة في المظاهر الطبيعية المختلفة وتجسيدها على هيئة آلهة، فقد جُسدت تلك المظاهر ليكون لها الأثر الأكبر في حياة الإنسان فكانت السماء إلهاً والأرض إلهاً والشمس إلهاً والقمر إلهاً والنجوم والبرق والرعد آلهة، (علي وسليمان، ١٩٨٠) وبذلك ارتبط ازدياد عدد الآلهة بتعدد وتنوع المظاهر الطبيعية. ومن الملاحظ أن هناك ارتباط بين تقديس الظواهر الطبيعية وبين الحاجة الاقتصادية لكل مدينة، إذ أن كل مدينة تنتهج مبدأ تقديس ظاهرة ما وفقاً لطبيعتها أو للقوى المؤثرة في اقتصادها (جاكوبسن، ٢٠٠٤).

ب. تعدد الآلهة:

طغى على الفكر الديني السومري مبدأ تعدد الآلهة، بسبب زيادة عددها التي نتجت عن تأليه الظواهر الطبيعية، لدرجة أن وضعوا جداول لأسماء آلهتهم الكثيرة، ونظموها في مجاميع، وحددوا علاقاتها بعضها ببعض، وقسموا الكون إلى مناطق يحكم في كل منها إله أو مجموعة من الآلهة، وكذلك خصصوا لشؤون الحياة المختلفة آلهة تتحكم في نظامها، وبالتالي لم يصل السومريون إلى التوحيد، وإنما كانوا يفضلون بعض الآلهة على غيرها، فقد يتغير كبير الآلهة وبطلها تبعاً للمتغيرات السياسية أو العسكرية، وهذا ما يعرف بمبدأ التفضيل أو التفريد (علي وآخرون، ١٩٨٣).

ج. الاستمرارية:

وهي صفة عامة في ديانة وادي الرافدين، فالتطور الحاصل في الألف الثالث ق.م لم يطرأ عليه تغيير كبير في جميع الفترات التاريخية التالية التي مرت بها هذه الحضارة، فالآلهة التي قدسها السكان في الفترات المتأخرة هي بوجه التقريب الآلهة القديمة نفسها التي قدسوها في الأدوار القديمة، وتنطبق هذه الصفة على الطقوس والشعائر والتراتيل الدينية، أما التغيرات التي حدثت فهي تمثل علاقة الآلهة ببعضها البعض، إذ كانت العلاقة ومكانة الآلهة وأهميتها تتغير وفقاً للمتغيرات السياسية، فعندما تبلغ مدينة من القوة السياسية والعسكرية ما يمكنها من بسط سلطانها على المدن الأخرى يعظم شأن إلهها، كما أن المدن قد تنفرد بعبادة إله أو جملة آلهة حيث تخصصها بالتعظيم، ولكنها لا تترك تقديس الآلهة الأخرى أو على الأقل لا تنكر وجودها (باقر، ١٩٥٥، ص ٢٢٦-٢٢٧)، ومما يلاحظ أيضاً أنه حتى في حالات الغزو الأجنبي فإن الغزاة كانوا يتأثروا بحضارة المناطق التي استولوا عليها، بما فيها من معتقدات وأفكار ونظم، ويعيشون ضمن إطارها العام مع بعض الإضافات البسيطة (علي وآخرون، ١٩٨٣).

د. التشبيه:

وهو أصباغ صفات بشرية على الآلهة في الهيئة والأفكار والأعمال فهي تريد وتدبر وتعمل، تأكل وتشرب، تتزوج وتأسس الأسر، ولها الأحاسيس والعواطف البشرية نفسها، من فرح وحزن ومرض، تحب وتكره، تغضب وتحقد، تعفو وتنتقم، تتخاصم وتتحارب (معدى، ٢٠١٢). وبالنظر إلى عالم الآلهة الذي يحيط به المجهول والجوانب الغيبية فقد شبهوا ذلك العالم بالعالم البشري، وعندما تم تجسيد الآلهة أسبغت عليها الصفات البشرية؛ فهي تعيش في مجتمع تحكمه قوانين وضوابط معينة، فقد كان للآلهة مجلس تجتمع فيه، تقرر فيه المصائر، وتتخذ القرارات المهمة التي تخص الآلهة والبشر، كذلك لعالم الآلهة ملك يحكم ويضبط الأوضاع من خلال القوانين والبراسيم التي يصدرها، يساعده في إدارة شؤون مجمع الآلهة عدد من الآلهة الكبار، وهناك أيضًا أساليب تنظم الحياة الاقتصادية كما هو الحال في عالم البشر (الماجدي، ١٩٩٨).

وكان لكل إله أتباع وحاشية كبيرة، فهو يتزوج وينجب الأولاد، ويسكن في المعابد التي يشيدها له البشر، غير أنهم تفوقوا عليهم بقدراتهم وخلودهم، فالآلهة لا تموت بعكس الإنسان الذي قرن بالموت، حتى في الحالات التي يفترض فيها موت الإله فهو موت مؤقت كما هو الحال بالنسبة للإله دوموزي الذي يموت ثم يعود إلى عالم الآلهة في فصل الربيع، ومقرها في السماء، وإذا شاءت أن تنزل إلى الأرض فهي تعيش في بيوت ضخمة خاصة بها هي المعابد التي يشيدها لها البشر، وباعتبارها تتمتع ببعض الصفات البشرية فهي بحاجة إلى المسكن والطعام فكان على البشر أن يولوا عناية خاصة بالآلهة وذلك بأن يقدموا لها القرابين، وإنشاء البيوت والمحافظة على إقامة الشعائر والطقوس (الشناوي، ٢٠٠٢).

هـ. لكل إله معبد:

انعكس النظام السياسي السومري الذي يفترض أن كل مدينة سومرية هي دولة قائمة بذاتها وهي ما عُرفت بدولة المعبد بأن أصبح لكل مدينة إله خاص بها هو الإله الحامي أو القومي لها، وبالتالي يتم بناء معبد خاص بذلك الإله، ولا يمنع ذلك من تشيد معابد أخرى لبقية الآلهة الأقل أهمية، وهناك مدن شُيد بها أكثر من عشرين معبدًا لعشرين إلهًا إلى جانب إله المدينة الرئيس، وفي بعض الحالات تُخصص غرف ثانوية في معبد إله المدينة لتمثيل الآلهة الأخرى لممارسة طقوس وشعائر عبادتها (على وآخرون، ١٩٨٣).

و. الكهنة:

من يقوم على خدمة الآلهة في بيوتها الأرضية، من يشرف على طقوسها من صلوات وشعائر هم طبقة الكهنة من الرجال والنساء، لكل منهم لقب خاص حسب المهمة المكلف بها في المعبد، كما لهم وظائف أخرى من الإشراف

على الجوانب الاقتصادية للمعبد، إلى تعليم قواعد اللغة ومبادئ الخط، وكذلك استنساخ المعارف الدينية من وثائقها القديمة (علي، ١٩٩٦)، ويتم اختيار الكاهن الأكبر للإشراف على معبد الإله من جانب الملك (سبع، ٢٠١٢).

. الآلهة السومرية:

نتج عن تجسيد السومريين للمظاهر الطبيعية والكونية عدد كبير من الآلهة تُسير الوجود وتسيطر عليه حسب اعتقادهم، وكل إله مسؤول عن جانب من الكون مثل السماء والأرض والهواء والشمس والقمر والرياح، منها:

- أنو (Anu)

يأتي على رأس قائمة الآلهة السومرية، ومعنى اسمه السماء، اللمعان، والشروق، فهو إله السماء ويسكنها، جاء اسمه بالنصوص المسمارية في هيئة تشبه النجمة ذات ثمانية رؤوس، وكانت مدن: أور، ولكش، وأورك، ونفر أهم مراكز عبادته (حتى، ١٩٦٥؛ الأحمد، ٢٠١٣)، ولكن تبقى مدينة الوركاء أكبر مراكز عبادته، وعرف معبده فيها باسم (أي - أنا) بمعنى بيت السماء (صالح، ١٩٧٣).

وأشارت العديد من النصوص المسمارية إلى الإله أنو باعتباره والدًا للعديد من الآلهة مثل: الإله انليل إله الهواء، وإله الجو أدد، وباعتباره أبو الآلهة فهو النموذج الأول لكل الآباء، ولما كان هو الملك والحاكم الأقدم فهو النموذج الأول للحكام وللشارات التي ترمز إلى جوهر الملك كمثل: الصولجان، والتاج، ورباط الرأس، وعصا الراعي، هذه الشارات كانت في السماء بين يدي أنو ثم هبطت إلى الأرض حسب اعتقاد سكان وادي الرافدين، كذلك قوة الملك تستمد من أنو، فهو مصدر كل سلطة في المجتمعين الإلهي والبشري (سليم، ١٩٩٦).

- Enlil إنليل:

بالسومرية (آن - ليل) فالاسم يتكون من مقطعين آن تعني السيد وليل تعني الريح أو الهواء فيكون معناه سيد الريح أو العاصفة (إبراهيم، ١٩٦١؛ أبو شقراء، ١٩٨٩)، ومع مرور الزمن أصبح يحمل لقب بعل بمعنى الرب أو السيد، ومن اسمه اشتقت صفة الربوبية والألوهية (سليم، ١٩٩٦)، ويلقب في النصوص المسمارية بسيد الأرض، وبأبي جميع الآلهة، وبالجل الكبير، وبالإله الذي يقرر المصائر، والإله الذي لا رجعة لقراراته، وبصاحب العينين المشرقتين والجميلتين، وبالإله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر ويحرسها، وجاء في الأساطير والتراتيل المتأخرة المتعلقة بخلق الكون بأنه قام بفصل السماء عن الأرض، وصنع المحراث والفأس أولى الآلات الزراعية، واخترع العربة، ونظم الكون، ويراقب سير القانون ويعاقب المذنبين ويمسكهم بشبكته، وصورته بعض الأساطير خالقًا للبشر (الأحمد، ٢٠١٣؛ إبراهيم، ١٩٦١).

وعلى الرغم من أن الإله أنو كان رئيسًا لمجلس الآلهة غير أن القرارات المهمة كانت بيد الإله انليل الذي حمل ألقاب أنو نفسه، فهو مصدر السلطة ويمثل القوة والبطش، وهو الذي يعاقب الملوك على أخطائهم، كما أن الحكام وملوك وادي الرافدين كانوا يفخرون بأن انليل هو الذي أعطاهم السلطة لممارسة الحكم على الأرض (علي وسليمان، ١٩٨٠).

مدينة نفر كانت مركزًا لعبادته بها معبده (اي كور) ومعناه بيت الجبل، وغدت المدينة بذلك الأكثر قدسية في بلاد الرافدين (رشيد، د - ت)، وقد شهد المعبد العديد من أعمال التجديد والتطوير من أهمها تلك التي قام بها الملك أبي سين (٢٠٢٨ - ٢٠٠٤ ق.م) المؤرخة بسنة حكمه الثامنة عشر والتاسعة عشر (سبع، ٢٠١٢).

- أنكي (Enki) :

رب الحكمة والمياه الجوفية العذبة (أبسو) والأنهار والبحيرات والمستنقعات، عُرف عنه الحكمة فحمل لقب ذو العين المقدسة (قاشا، د - ت)، هو إله الماء والطقوس المرتبطة به من سحر وفأل، واسمه أنكي يعني سيد الأرض، وهو خالق العالم وسيد القدر، ومن اسمائه الخالق، ورب حزمة القصب، وباعتباره رب الحكمة صُوِّر بأذن كبيرة مفتوحة، ومن رموزه رأس خروف أو ماعز والسمكة، ولهذا اتخذ كهنة معابده عبادة طويلة على شكل سمكة، وكانت مدينة أريبدو (أبوشهرين) هي مدينته المقدسة، ويحمل معبده لقب أي أبسو (E-absu) (الأحمد، ٢٠١٣)، ولكونه إله الحكمة والسحر فهو الذي خلق الإنسان بتشكيل كتلة من الطين منحها الحياة، وذلك عندما ارتفعت أصوات الآلهة من أجل بديل يحمل عنها مشقة العمل وعمار الأرض، كما أنه أنقذ البشرية من الطوفان (علي سليمان، ١٩٨٠)، ومعروف عنه عطفه على البشر فهو الذي علمهم المعارف والفنون، وصناعات مختلفة من كتابة وبناء أكواخ القصب، وزراعة الجيوب، ورعى الماشية، وهو منبع الذكاء للملوك، ويساعد الكهنة على تأدية وظائفهم المقدسة وخاصة طقوس السحر (سليم، ١٩٩٦)، غالبًا ما يصور جالسًا بلحية طويلة ويضع تاجه المقرن رمز الألوهية، وجداول الماء تتدفق من خلفه نزولًا إلى الأرض والأسماك تسبح حوله (رشيد، د - ت).

- نانا: (Nanna)

أو ن نار إله القمر، الذي يعني سيد السماء، والمضيء والمشع، وهو يأتي بعد أنكي في ترتيب المعبودات، ورقمه الحسابي ٣٠ بمعنى أنه يمثل الشهر كاملاً، ولذلك اعتبر سيد الشهر، إله الكلمة والتقويم والقضاء والخضرة (الأحمد، ٢٠١٣)، وهو إله مدينة أور وبها معبده الرئيس (الأيك يشر كال)، وقد اشتهر بالحكمة، ويُعد والدا للإلهين عشتار، وإله مدينة لارسا أوتو إله الشمس (زودن، ٢٠٠٣)، ويشترك معه في تصريف شؤون العدالة والقضاء،

وخصصوا له زوجة هي نيكال (السيدة الكبيرة) عُبدت معه في معبده بمدينة أور، وصُور في هيئة هلال فقط، وبهلال يعلو صورة رجل مسن بلحية وتاج بأربعة أزواج من القرون (باقر، ١٩٥٥).

– أوتو (Utu):

إله الشمس والعدل والإنصاف والمعاملات العادلة فهو القاضي الأعظم وإله العدالة، والحق والنور الذي ينير الظلمات ويقود عربته كل يوم يدور بها حول العالم يرى ما في قلوب الناس، ويرى أعمالهم لمحاسبتهم، يحمي الضعفاء والمظلومين، ويرعب الأشرار (قاشا، د-ت)، يُعرف في اللغة الأكادية واللغات السامية الأخرى باسم شمش (Shamsh)، وهو ابن إله القمر وأخو انانا، وزوجته (أيا) (قاشا، ٢٠٠٣)، وعادة ما يظهر برمز أسطوانة ذات أربعة خطوط تنبعث منها حزمة من الأشعة، كما صُور بهيئة ملك جالس على عرشه يحمل في يده اليمنى الصولجان والدائرة، وهما رمزا السلطة والملكية، وتواجه مزين بأربعة أزواج من القرون، وله لحية طويلة، وتنبعث منها الأشعة، ولأنه ينير الظلمات فهو الضوء، والنهار، واليوم، وإله العدالة والحق والشرائع، وهو القاضي الأعظم، وسيد الكهانة والعرافة، ومن أهم مراكز عبادته مدينتي لارسا وسبار، وله معبد أيضاً في مدينة آشور، وقد عُرفت معابده باسم (أي بيار) (سعفان، ١٩٨٩).

– إنانا (Inanna):

الإلهة الأم العظيمة الرمز الأنتوي للخصوبة والابداع، عُرفت في اللغة الأكادية باسم عشتار وهي من أبرز الآلهة في مجمع الآلهة السومري والأكادي، حيث حملت أشكالا وصفات كثيرة متباينة، وكان مركز عبادتها الرئيس في كل العصور التاريخية هو معبد إنانا (بيت السماء أو البيت العالي) في مدينة الوركاء في الجنوب، وعادة ما تشيد لها المعابد في كل المدن السومرية (يحي، د - ت ؛ قاشا، ٢٠٠٣).

تُصور إنانا على أنها القوة المنتجة المسؤولة عن عودة الحياة إلى النباتات في فصل الربيع، وقد حملت عدة أسماء مثل: ماء، ننخوررزك، نيننسيكيل (السيدة الطاهرة)، ونعتت باللبوة الايجيجي أو الضارية، وكربة للحرب سميت أنونيتوم (سيدة المناوشات)، صُورت على رأسها تاج تعلوه نجمة يعرف ب(شوجرا) تاج السهل، وعلى يسارها سيف، وتقف على أسد، وتمسك بيسرها قوس، وتبارك متعبيدها بيمينها (الأحمد، ٢٠١٣)، وجد في معبدها بمدينة نفر لوح منحوت تظهر فيه إنانا تلبس تاجها الإلهي ذا القرون تخرج منه خصلات شعرها على هيئة سنابل (باقر، ٢٠١٢).

وهي آلهة الحب والجمال والجنس والحرب، وبصفتها نجمة الزهرة، أطلق عليها إلهة السماء وحسب قوائم الأنساب فهي ابنة الإله سين، ووالدتها الإلهة نكالك، وأختها أرشكيجال (موسى، ٢٠١٩)، ويصف قانون حمورابي مظهرها كمحاربة بأنها إلهة المعارك التي تقضي على من يتناول القانون بالتحوير أو التزوير (إبراهيم، ١٩٦١).

إن الإلهة إنانا تمثل الأنثى بكل غرائزها ومداركها ودوافعها الباطنية، وهي تجمع في شخصيتها كل الحالات الإيجابية والسلبية التي تمر بها المرأة ماعدا ما تطرأ عن الحمل والولادة، ومن جانب رمزي فقد كانت رمزاً للمرأة في ثلاث من أهم مراحل الحياة فهي تمثل الإلهة المراهقة، ثم الإلهة المرأة، وبعد أن تسببت في ارسال زوجها إلى العالم السفلي أصبحت الإلهة المرأة الأرملة المتحررة من قيود الزواج، وإلى جانب ذلك فقد كانت تشرف على الحب والعلاقات الجنسية، وعلى بعض المهن التي تقوم بها المرأة مثل الغزل والنسيج وصباغة وانتقاء الأزياء (حنون، ١٩٧٨).

– دوموزي (Dumuzi):

يرتبط في الفكر السومري بالإنتاج النباتي والحيواني، وبالتالي فإن ارتباطه مع الإلهة إنانا نشأت عنه عبادة الخصب، فيرمز للخصب وتجدد الحياة، وله عدة صفات ومظاهر فهو الراعي، والثور الوحشي، الذي يعني الابن المخلص، ودوموزي الخصب في عراجين البلح، وتدور عبادته حول زواجه من إنانا، ثم موته في فصل الصيف، إذ يُعد أحد آلهة العالم السفلي، ويعود للحياة في فصل الربيع^(١)، ويتم الاحتفال بهذا الزواج حسب الطقوس السومرية في عيد (الأكتيو)، (على، ١٩٧٣؛ قاشا، د-ت)، فقد كان لزاماً على السكان أن يقيموا احتفالات وطقوساً يعيدون ويحاكون من خلالها أسطورة الزواج المقدس، يتضمن ترتيل الأناشيد والقصائد الدينية مما يؤلفه الشعراء السومريون على لسان العروس إنانا التي تقوم بتمثيل دورها إحدى الكاهنات، وعلى لسان العريس دوموزي الذي يقوم بأداء دوره الملك أو أحد الكهنة (على، ١٩٧٨)، في حين يرى أحد الباحثين أنه أصبح إلهاً من آلهة العالم السفلي حيث عُرف بعدد من الألقاب تؤكد على ذلك منها: ملك الأرض البعيدة، ملك الجبل العالي، ملك أرض الالعودة، سيد أربي وهي تشير إلى العالم السفلي (حنون، ١٩٨٠)، كما أن العديد من النصوص المسمارية ذات المواضيع المختلفة حملت إشارات واضحة تفيد بأن دوموزي هو أحد آلهة العالم السفلي.

– نيسابا (Nisaba):

(١) كان للإلهة إنانا مغامرة في العالم السفلي لإنقاذ زوجها من ذلك العالم للمزيد حول هذه الأسطورة ينظر: (باقر وفرنسيس، ١٩٥٤؛ السواح، ٢٠٠٢).

إلهة سومرية كانت ربة خصب ارتبطت عبادتها بالحنطة، ويرمز لها بحبة قمح، وهي ابنة آن، وفي مجمع آلهة لجش فهي أخت نينجرسو وابنة انليل (قاشا، ٢٠٠٣ ؛ الأحمد، ٢٠١٣)، ثم أصبحت إلهة الكتابة والكتب والعلوم وال عمران والفلك (بشور، ١٩٨١)، زوجها الأول الإله خايا (Khaya) سيد الرقيم المختوم وإله الكتابة، وقد أصبح الإله نابو فيما بعد زوجها، وقد ظهرت الإلهة نيسابا في طبعة ختم أسطواني يعود إلى العصر الأكادي تظهر فيه جالسة على كرسي وتضع من كتفها سنابل شعير، وتمسك بيدها حزمة من نبات القصب دلالة على علاقتها بأداة الكتابة وهي القصب (الجميل، ٢٠٠٥).

الإله نركال (Nergal) وزجته الإلهة إيرشكيجال (Ereshkigal):

نركال إله العالم السفلي ورب الأمراض والمعارك الدموية، اسمه يعني (سلطة المدينة الكبيرة) وزجته إيرشكيجال إلهة الجحيم والعالم السفلي التي عُرفت باسم سيدة الأرض العظمى (الأحمد، ٢٠١٣)، وقد عُرف العالم السفلي بالسومرية باسم (كور نو كي) بمعنى الأرض التي لا رجعة منها (الجوي، ٢٠١٨)، إلهة الموت المسؤولة عن نهر (ماخو) هما من يحكمان ذلك العالم، يساعدهما في ذلك مجموعة من الآلهة الصغيرة، منها أيشوم الذي عُرف كشفيع للموتى عند الإله نركال عند دخولهم العالم السفلي، فضلاً عن عدد كبير من الشياطين الذين يتوزعون في عدة مجاميع لكل مجموعة عملها الموكل إليها منها نقل الذين يحكم عليهم بالموت إلى ذلك العالم سواء كانوا آلهة أم بشر^(٢) (حسين، ٢٠٠٩).

تشير النصوص السومرية بأنه كان في الأصل إله شمس، وأنه ابن الإله انليل الذي عُهد إليه برعاية المخلوقات، كما يعتمد عليه آنو في معاقبة المدن الثائرة على أحكام السماء، مدينة كوثر مركز عبادته (تل إبراهيم قرب جبلة) التي عُرفت باسم مدينة الأموات. ومن رموزه الصولجان برأس أسد، أو ثور، أو تنين، أو غراب، وكان له مركز عبادة ملحق بمعبد أنليل بمدينة نفر، ونيتي كبير حُجاب العالم السفلي، مبعوثه الخاص هو الإله نامتار نذير الموت الذي يمكنه إطلاق ستين مرضاً على البشر (الأحمد، ٢٠١٣).

الجانب الثاني - الطقوس الدينية السومرية:

لتحقيق رضاء الآلهة كان لابد من إجراء الطقوس والشعائر الدينية، فهي من أساسيات الدين، وتتجلى العبادة بإجراء الطقوس والشعائر والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد الدينية، وتعبّر عن بعض جوانب الميثولوجيا وتكسبها صفة الديمومة والاتصال مع الآلهة (الماجدي، ١٩٩٨)، ومع أن الحكام احتفظوا بالإشراف على الشؤون الدينية بشكل رسمي باعتبارهم وكلاء عن الآلهة، ولكن تركوا الممارسة الفعلية للكهننة، الذين كانوا يتلون

(٢) للمزيد حول وظائف آلهة العالم السفلي، ودور ومهام كل منهم ينظر: (حنون، ١٩٨٦).

التراتيل والتعاويد والدعوات، ويقومون الصلوات ويهتمون بتمثيل الآلهة، ومحتويات المعابد، ويترجمون وحى الآلهة، ويرأسون شعائر العبادة (صالح، ١٩٧٣)، إضافة إلى بعض المهام الثقافية من استنساخ المؤلفات الأدبية والدينية، ومهام تعليمية من تعليم الخط والكتابة وقواعد اللغة، فكان عليهم مهمة تثقيف أبناء المجتمع الذين يُعهد إليهم تنظيم أمور الدولة وإدارة الاقتصاد. وكان لكل كاهن لقب خاص حسب المهمة التي يزاولها في المعبد، منها الإشراف على الأراضي الزراعية والخدمات الإدارية والمالية للمعبد، باعتبار أن المعبد كان يمثل محور النظام سواء كان سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا، وهو المنظم لعمليات المقايضة والتجارة والمتكفل بالأعمال العامة (لوكاس، ١٩٨٠).

ويأتي في مقدمة كهنة المعبد الكاهن الأعظم (شانغا)، الذي يدير شؤون المعبد ويرأس بقية طبقات الكهنة، ويخصص له جناح خاص بالمعبد يسمى (جيبار) (معدى، ٢٠١٢)، وتوازيه في المرتبة الكاهنة العظمى، وعادة ما يكرس الحكام بناتهم لهذه الوظيفة باعتبار أن الكاهنة العظمى هي زوجة الإله، (لوحة رقم ١) وهناك أصناف أخرى من الكهنة منها كاهن (سنكا) يتولى الإشراف على تقديم القرابين الحيوانية إلى الآلهة، التي تتم برعاية كاهن يعرف ب(كبير السنكا) وعملية ذبح القربان تتم على يد كاهن يحمل لقب (حامل المدينة)، وأيضا كاهن آخر يعرف ب(باروم) وهو مختص في العرافة وتفسير إرادة الآلهة والتنبؤ بها، وكان (شاعيلو) مختص في تفسير الفأل والأحلام، وأما ممارسة التعزيم والرقيه لطرد الأرواح الشريرة والخبيثة من أجساد المرضى فكانت مسندة لكاهنين هما (كالا) و(نارو) (على، ١٩٨٨) (لوحة رقم ٢)، وهناك الفرقة الموسيقية التي تصاحب ترتيل الأدعية والتعاويد التي ينشدها الكهنة المرتلين والمنشدون ومنهم (أشيبير) و(مسمشو)، وتضم عازفين على الآلات الموسيقية التي من أهمها الكنارة (لوحة رقم ٣) والناي والصنج المعدنية والدف والطبل (ليليسو)^(٣)، (عبد الغني، ٢٠١٦)، وأما شؤون التطهر والاعتسال فكانت من واجبات كاهن يحمل لقب (باشيشوم)، ويشارك في تقديم القرابين المصحوبة بعزف الموسيقى فكان عليه أن يجيد العزف عليها (رشيد، ١٩٨٥).

وأخيرًا كالو (Calu) وهم طبقة من الكهنة اشتهروا في مجال الترتيل واختصوا بالبكاء والنحيب وغناء الرثاء والعزاء في حالات الموت والدمار والكوارث، ينشدون صحبة الآلات الموسيقية والدفوف والمزامير (رينيه، ١٩٨٨).

ويبدو أن كل طائفة من طوائف الكهنة لها ملابس خاصة بها حيث يظهر الكهنة في العديد من التماثيل حالي الرؤوس، يرتدون تنورة مزخرفة، ذات أهداب سفلية طويلة، بينما يظهر صنف آخر يرتدي رداء قصير يصل إلى نصف الساق يعرف باسم الإتب، تتدلى منه أهداب على هيئة سيور من صوف الأغنام (الربيعي، ٢٠١٣). ومن أهم الطقوس والشعائر والأعمال الدينية ما يلي:

(٣) استخدمت العديد من الآلات الموسيقية في معابد بلاد ما بين النهرين، وكانت مصاحبة للطقوس والشعائر الدينية، للمزيد حول الآلات الموسيقية ينظر: (رشيد، ١٩٧٧).

أ. الطقوس اليومية:

هي الطقوس التقليدية الشائعة والمنتشرة بين عامة الناس، وعادة ما تتم بشكل فردي، وكانت الصلاة من أهم الطقوس في الديانة، وتمثل حلقة وصل بين عالمي الآلهة والبشر، يطلب فيها المتعبد من الآلهة الخلاص من عذاب قد ينتج عن انتهاك حرمة القانون الإلهي^(٤)، وارتبطت بممارسات محددة أولها التطهر الكامل، وغسل اليدين بالماء، والركوع والسجود، كانت الصلوات ترفع بخشوع أمام تمثال الإله، ويتم برفع إحدى اليدين إلى أعلى بمستوى الفم ويبدأ في قراءة بعض الابتهالات والأدعية بما فيها الشكاوي والتوسلات والتضرع وعبارات الشكر والطاعة والاستغفار والتوبة، وبذلك شكلت الصلاة طريقة الاتصال الفردي بالإله لقصد تحاشي غضبه وعقابه وكسب رضاه واستعطاف بركاته، وعبرت عن الورع والخوف والخشوع، والتماس العون والخلاص، ومحاولة تحقيق السلام الروحي للفرد، وضمان مسيرة حياة المتعبد، وتحقيق أمنيته وتطلعاته من حيث الرخاء والصحة والأولاد وطول العمر (حميد، ٢٠٠٤).

يعد التوسل أحد الوسائل المتبعة في الصلاة والتقرب من الإله باعتباره المسؤول عن الحياة وتقرير المصير، وكان المُتوسل يستخدم في الصلاة والتقرب من الإله العبارات اللفظية أو الإيماءات الجسدية سواء رفع اليدين، والانحناء أو الركوع، والسجود وغالبا ما يستخدم المُتوسل الأثنين معًا طلبًا للرحمة والعتق وإظهار الخضوع والولاء، وتقديم فروض الطاعة والعبادة، وإظهار أقصى درجات التواضع من خلال الإيماءات الجسدية مثل التحية والاستسلام والإقرار (محمد، ٢٠١٤).

شعائر التطهر شكلت الجانب الرئيس للطقوس الدينية، وهدفت إلى تطهير المتعبد داخليًا وخارجيًا، وكانت واجبة عند ممارسة الشعائر في المعابد، وفي الشعائر الخاصة أيضًا، وكذلك في القصر الملكي، وكذا في مجال الممارسات السحرية، وأبرز وسائلها المياه الجارية، والزيت، وبعض النباتات التي تتمتع بخاصية التطهير، وبعض المستحضرات المعدنية، وشهدت المعابد ممارسات تطهيرية يومية يُشرف عليها الكهنة المطهرون منها طقس إحراق البخور في مجامر أو مباحر خاصة، ورش الماء الطاهر على تمثال الإله، إضافة إلى صنف آخر من الكهنة هو الكاهن المعزم (أشيبو) فقد كان طقس إحراق البخور يلازمه إلقاء التعاويذ السحرية لطرد الأرواح الشريرة (زودن، ٢٠٠٣).

ومن الطقوس التقليدية أيضًا طقس فتح فم تمثال الإله وغسله، بهدف منح الحياة وبث الروح في تمثال الإله الذي صنعه الحرفي، فقد أعطيت تماثيل الآلهة أهمية خاصة حيث تُصنع من الحجر أو الخشب، وتزين بالمجوهرات

(٤) اكتشفت العديد من الرقم الطينية التي سجلت عليها ترانيم وأدعية دينية، للمزيد حول ذلك ينظر: (الوائل، ١٩٦٥).

المصنوعة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وكان إهماله يعني بأن تمثال الإله مجرد مادة جامدة لا تستطيع فعل أي شيء، كما أن فتح الفم كان ضروريًا بعد القيام بعمليات ترميم التماثيل، وقبل أن يُنصب في المحراب المقدس، ويتم طقس غسل الفم بوضع جرتين مملوءتين بالماء المقدس في مكان التمثال وقطعتين من القماش حمراء أمام التمثال، وبيضاء إلى جانبه، ثم تقدم القرابين إلى ذلك الإله ويرافقها غسل فمه حيث يوضع ماء في سبعة أوعية تحوي مواد خاصة مثل: الأثل، وسبعة أعواد من الأرز، وقطعة قماش، وملح، وصمغ الأرز، ودهون، وأحجار كريمة، ويردد الكهنة المختصين بعض العبارات الطقسية والتراتيل الخاصة لذلك، بعدها تقدم القرابين في صورة موائد طعام للإله (زودن، ٢٠٠٣؛ الأحمد، ٢٠١٣).

ومن الممارسات الطقسية والتي كان لها دور مهم في الشعائر الدينية، طقس تقديم القرابين، والذي يعنى الهبة أو التقدمة أو الهدية فهي من الواجبات الدينية على سكان المدينة التي فرضتها طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية، ولهذا أصبحت القرابين تقليد متوارث فُرضت على جميع أفراد المجتمع (عبد القادر، ١٩٨٩)، ويتكون القربان من طعام مقدم للإله يصحبه حرق البخور، وبعض الأعشاب ذات الرائحة الذكية وإشعال المشاعل، وتبين اللوحات الجدارية النحتية ممارسة السكان لهذه الطقوس، وتبين منها أنواع مختلفة من الأطعمة المقدمة قربانًا للإلهة مثل: الخبز والماء والفواكه ولحوم الحملان والجداء والغزلان والخنازير والأسماك والطيور، إضافة إلى العسل والسمن والحليب والتمر والتين والخضروات، كانت الموائد تقدم إلى الآلهة مرتين في اليوم فهناك وجبة عند فتح المعبد، وثانية ليلاً قبل غلق أبوابه (الأحمد، ٢٠١٣)، ومن أنواع القرابين أيضا تقديم الطيب والبخور والمواد العطرية التي تُحرق في المباخر والمجامر وتقدم بشكل منفردة أو صحبة القرابين الأخرى (العتابي وضحي، ٢٠١٣)، الهدف من تقديم القرابين ارتبط بعدة جوانب منها:

- حاجة الآلهة إلى الطعام باتصافها ببعض الصفات البشرية مثل الأكل، وعلى المتعبدين أن يزودوها بما هو ضروري لهذا الغرض (هوك، ٢٠٠٤).

- ملكية الإله للأرض الزراعية، ومن يستغلها بالحرث فهو مستأجر، لذلك كانت القرابين التي تقدم تعد من الديون التي على المستأجر تسديدها للمالك - الإله - مالك الحقل والمدينة (خليف، ٢٠١١).

- الاعتقاد بوجود علاقة بين الحيوان المقدم قربانًا للإله وبين الإله نفسه وبالتالي لهم أن يتطلعوا إلى روح الإله، ومعرفة إرادته بالتأمل في روح الذبيحة (سعفان، ١٩٨٩). كما اعتبرت القرابين من العبادات والشعائر نفسها التي تحقق حاجة الإنسان مثل الشفاء من الأمراض، درء خطر الشياطين والأرواح الشريرة، إبعاد الشرور والنكبات، بل أنها الغاية الأساسية من خلق الإنسان (عبد القادر، ١٩٨٩).

- تقديم القرابين من الشعائر التي تجعل الإله في مزاج جيد، وتجنب آثار غضبه (خليف، ٢٠١١).

- الحفاظ على حياة الآلهة التي قد تموت من نقص الغذاء، وأن التقدم بالقربان ليس موتاً بل هو حيلة لذلك الإله؛ لكي يستمر في توجيه مصائر وأقدار الناس فهي حياة للبشرية (بوكيت، د - ت).

ب. طقوس المناسبات:

تجرى طقوس المناسبات وفق أحداث محددة، فقد كانت عملية بناء المعبد أو إعادة بنائه تصحبها طقوس كثيرة وشعائر مختلفة، التعاويذ وتمائيل الآلهة ورموزها وكذلك المسمار الحجري المنقوش بالتعاويذ والرموز الدينية كلها توضع في أساسات المعابد لتوفير الحماية من الأرواح الشريرة (كريمير، ٢٠٠٤).

الحرز وتمائيل الآلهة والعفراريت والحيوانات تدفن عند عتبات البيوت والمعابد لتوفير الحماية من الأرواح الشريرة، كما توضع مثل هذه التعاويذ والأشكال عند الواجهات أو على الأبواب، وقد تطورت فيما بعد طقوس البناء في المراحل اللاحقة وأخذت ترافقها القرابين (الأحمد، ٢٠١٣).

يتعرض المعبد إلى الانهيار إذا هجر الإله ذلك المعبد، ومن تم هجره للمدينة نفسها التي كان يحميها، وهذا يستوجب من كاهن (الكالو) الندب والنواح، وهو المختص بتلاوة الترانيم الملائمة عند إعادة البناء أو الترميم، وهو المسؤول عن استخراج التعاويذ القديمة ودفنها في مكان سري، واستبدالها بأخرى جديدة (الشواف، ١٩٩٧).

الطقوس الجنائزية كان لها دور مهم في حياة السومريين فقد كان الاعتقاد السائد بأن روح الإنسان بعد مماته تتحمل حسنات أو سيئات الشخص المتوفي، ومقرها العالم السفلي، وتعرض أرواح الموتى الذين لا يدفنون حسب الطقوس والشعائر المناسبة إلى التعذيب وتتحول إلى قوة شيطانية، وقد صُوّر العالم السفلي حسب المعتقدات الدينية السومرية بأنه مدينة محاطة بسبعة أسوار ولها سبع بوابات بواقع بوابة لكل سور ويتم الوصول إليه عن طريق بوابات في الأرض يكون القبر أولها، ثم الحفر العميقة في الأرض ثم سلم الآلهة الذي يربط بين العالمين العلوي والسفلي، وبوابة أخرى تصور السومريون وجودها في مدينة الوركاء (حسين، ٢٠٠٩). ويحيط بالسور الأول نهر يسمى (ماخو)، وكان لا يسمح للموتى بعبور هذا النهر إلا بإنجاز الشعائر الجنائزية المناسبة (الماجدي، ١٩٩٨).

وحسب الاعتقاد أن الشعائر الجنائزية تقام لسببين هما أولاً إرضاء الآلهة عموماً سواء تلك الآلهة التي توجد في العالم السفلي أو العالم العلوي، تتضمن تقديم الهدايا والقرابين إليهم وهذا يضمن حسن معاملة الآلهة لروح الميت الذي يأخذ الهدايا معه إلى العالم السفلي ليقدمها إلى الآلهة الموجودة هناك؛ فهذا ما فعله جلجاميش بعد نزوله إلى العالم السفلي عندما اصطحب الهدايا والأسلحة والدروع والحلي وقدمها إلى آلهة العالم السفلي (حسين، ٢٠٠٩)؛

عبدالقادر، ١٩٨٩)، والسبب الثاني في إقامة الشعائر الجنائزية هو الخوف من أرواح الموتى بعد انفصالها عن الجسد وربما خروجها من العالم السفلي وهيامها وما تسببه للأحياء من أذى، كما أن انقطاع الطعام والشراب يؤدي إلى ضجر تلك الأرواح ثم إثارة غضبها وخروجها من العالم السفلي إلى عالم الأحياء لتأكل مما يلقيه الناس من بقايا الطعام في الشوارع وتربص للأحياء لتشعرهم بوجود ذكراها والايفاء بحقها وإلا فإنها ستلحق الأذى بهم (حنون، ٢٠٠٦)، آلهة السماء وآلهة العالم السفلي لا بد من إرضائها لحماية الميت وتجنب غضبها عن طريق إقامة الشعائر الجنائزية الملائمة، التي تقسم إلى ثلاثة أقسام:

طقس الكسبا:

تقتضى التقاليد المتوارثة بأن يتم نصب مائدة أمام تماثيل الملوك توضع عليها مختلفة الأطعمة من الزيت والنبيد الأبيض والفاكهة وتذبح الخراف وتقدم إلى أرواح الموتى، المقاعد ترتب حول المائدة بحيث يترك مقعد لروح المتوفي الذي أُقيمت من أجله الوليمة والذي يعرف باسم (كش كوزاديفا) (حنون، ٢٠٠٦).

طقس ناق مبي: وهي طقوس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت، وكان الماء يُسكب عبر أنبوب فخاري ينزل من سطح الأرض إلى العالم الأسفل، وقد كشفت الحفريات الأثرية بمدينة أور السومرية عن أنابيب فخارية تحت أنقاض بعض أبنية المدينة مدفونة بصورة عامودية بها ثقوب جانبية لصرف المياه داخل الأرض، ومن المعتقد أنها دفنت بهذا العمق بغية إيصال النذور والقرايين إلى آلهة العالم السفلي، والموتى المدفونين في ذلك العالم (حسين، ٢٠٠٩؛ سوسة، ١٩٨٦).

طقس الشوماز كارو شَم زَكَارُ: ويعني ذكر الاسم، ويقصد به تطمين الميت بأن ذكره لا زالت قائمة بين الأحياء، وأن استمرار ذكر المتوفي يمثل نوعاً من الخلود (حنون، ٢٠٠٦)، وهناك طريقتان تتم بهما هذه الطقوس الأولى من قبل عائلة المتوفي، وتشارك فيها بشكل خاص النساء القربيات من الميت، أما الثانية فيقوم بها الكهنة المختصين (ماخو) حيث يؤديون الشعائر التي تتم بتلاوة التعاويذ المناسبة وتساعد المتوفي بتحسين حالة روحه في العالم السفلي، وتسهل الدخول إليه، ومن هنا كان لابد من مراعاة إقامة هذه الشعائر داخل المعابد عند تخطيطها حيث صُممت أماكن خاصة ملحقة بالمعابد لأداء تلك الطقوس الجنائزية عرفت باسم (بيت كسب) (حسين، ٢٠٠٩)، الوقت الذي تقام فيه الطقوس الجنائزية إما بعد حدوث الوفاة، وأثناء مراسم الدفن، وإما إقامتها في أوقات محددة ومختلفة من السنة بعد الوفاة وتستمر لفترة طويلة (حنون، ١٩٨٦).

ج. الطقوس الدورية:

وهي خاصة بالأعياد والمناسبات العامة المهمة في حياة المدينة وسكانها، وعادة ما تقام في أيام محددة من السنة لارتباطها بأحداث ومناسبات معينة مثل: الانتهاء من بناء معبد لإله المدينة، أو عودة الجيش منتصرًا من جبهة القتال، أو أية مناسبة أخرى مهمة تستوجب التقدير والاعتزاز (علي، ١٩٨٥)، وقد تكون الطقوس الدورية لاستحضار زمن الخلق الأول، وسواء كانت أ الأعياد أسبوعية أم شهرية أم فصلية أم سنوية فإنها كانت جزءًا من الاحتفالات التي أعتاد السكان على إحيائها (الماجدي، ١٩٩٨ أ).

طقس أو عيد (الأكيتو) وما يتبعه من شعائر دينية والذي عُرف منذ العهد السومري القديم وهو من أهم الطقوس التي أحتفل بها في المعابد السومرية - زادت شهرته زمن الدولة البابلية - تقام طقوس الأكيتو بمناسبة الاحتفال بعيد رأس السنة في أوقات متفاوتة، وفي بعض الأحيان عيدان في الخريف والربيع من كل سنة، وتستمر الاحتفالات به اثنتي عشر يومًا (الماجدي، ٢٠٠١).

تجرى العديد من الترتيبات اللازمة لإقامة طقوس هذا العيد منها التطهير الديني للمعبد الرئيس بالمدينة، وما يصحبها من أعمال طقسية معتادة، وتقديم القرابين على منضدة معدة خصيصًا لهذا العيد، وسلب شارات الحكم - الصولجان، الحلقة، التاج - من الملك وإعادتها مرة أخرى إليه (باقر، ١٩٥٥).

غير أنّ أهم الطقوس التي ترافق احتفال الأكيتو هي الطقوس الخاصة بالزواج المقدس إذ يقوم الملك أو الكاهن بدور الزوج - الإله دوموزي - بينما تقوم الكاهنة بدور الزوجة - الإلهة انا - اعتقادًا بأهمية مثل هذه الطقوس في بقاء وديمومة مظاهر الخصب والتكاثر في المجتمع البشري^(٥)، وإشارة إلى تجدد الخلق والتجديد في الربيع بعد قيامة الإله من عالم الأموات.

وفي مدينة الوركاء أُقيم على أحد التلال بناء ضخّم عرف باسم بيت آكيتو استخدم الطوب اللبن في بنائه كان مخصص لإقامة هذا النوع من الاحتفالات وما يتبعه من طقوس وشعائر (بصمة جي، ١٩٦٠؛ كاظم، ٢٠١٠).

الجانب الثالث - العمارة الدينية وأثر الطقوس الدينية على تطورها:

حظيت العمارة في بلاد ما بين النهرين بأهمية خاصة، وتشير المفردات اللغوية في اللغة السومرية إلى تنوع المعلومات المعمارية، وأنها زاخرة بمفردات كثيرة حول العمارة، فمهمة البناء كانت ذات طبيعة إلهية، بل أنّ هناك آلهة للبناء والبنائين ففي أسطورة نقل إنانا للنواميس الإلهية من أريدوا إلى أورك كانت من ضمن النواميس بعض الحرف والصناعات مثل النجارة والحدادة والبناء (يحي، د-ت؛ كريمير، ١٩٧١؛ باقر، ١٩٧٦)، وفي أسطورة

(٥) يرمز هذا العيد إلى الصراع بين قوى الطبيعة وانتصار العناصر المولدة للحياة في الربيع، وانتصار آلهة الخير على آلهة الخراب في الكون، وولادة النظام وحلول الاستقرار والخير والسعادة على الأرض، للمزيد حول هذا العيد وما يصحبه من احتفالات وطقوس ينظر: (الأمين، ٢٠١٨).

الإله أينكي هو من خلق الفأس وقالب الأجر فهي ذات طبيعة مقدسة، ويعين إله الأجر (كبتا) مسؤلًا عنهما، ويحدد نوعية أعمال أداة البناء التي تعرف باسم (كوكن)، ويضع أسس المباني، وتشيد الآلهة الدور والمدن (جاكوبسن، ١٩٨٠)، وفي أساطير الخليقة هناك الإلهة (لامكا) من آلهة البنائين (حنون، ١٩٨٦).

ارتبطت العمارة بمجموعة من العوامل الطبيعية والسياسية والاقتصادية، غير أن أهم هذه العوامل التي كان لها الأثر الواضح على تطورها هي المعتقدات الدينية وما يرتبط بها من طقوس وشعائر التي تعد من ضمن عوامل الإبداع والابتكار، فقد كان دور العمارة موجهاً بالدرجة الأولى لخدمة الدين، وقد ساعد ذلك بشكل فعال الحكام والكهنة على تحقيق ما يصبون إليه في إثبات شرعية سلطتهم، وعن دور هذا العامل يشير أحد الباحثين إلى ضرورة الإمام بجوهر العمارة والفنون في وادي الرافدين، وذلك باستيعاب فكرة الآلهة وما يرتبط بها من مفاهيم الملكية عن طريق دراسة المباني المعمارية والأعمال الفنية الأخرى (مورنكات، ١٩٧٥)، ومن خلال المعتقدات الدينية يمكن التعرف على خصائص العمارة الدينية السومرية ومميزاتها.

ومن جانب آخر فإن للبيئة الجغرافية دورًا مهمًا في العمارة من حيث طبيعة الأرض ونوع التربة، فكان الطين الذي تكون من الطمي الذي يرسبه الرافدان هو المادة المتوفرة في الجنوب، مما أدى إلى استخدام اللبن المجفف بالشمس في عمليات البناء، كما كانت هذه الأماكن عرضة للفيضانات؛ فكان لا بد من الارتفاع بالمباني فوق مصاطب تقام من اللبن خوفًا من انهيارها، ثم أخذ هذا الارتفاع بعدًا عقائديًا ودينيًا، كما كان لعامل المناخ دور في ذلك من حيث ارتفاع وانخفاض درجات الحرارة والفرق بينها في فصول السنة كان له أثر في نوع مادة البناء، وفي تصميم المباني وهندستها (البياتي، د - ت، ص ٣٠؛ الجبوري، ٢٠١٨، ص ٢١١ - ٢١٢).

ومن هنا يتبين مدى التفاعل بين المادة الأولية التي تُصنع منها المواد الإنشائية وبين طبيعة البيئة والمناخ اللذين يؤثران في الجانب المعماري، هذا التفاعل الذي أصبح من أهم مميزات عمارة بلاد ما بين النهرين، وكان الطين هو المادة الرئيسة المستخدمة في العمائر سواء الدينية منها أو المدنية، لعدة خصائص مميزة فهو الأكثر توفرًا، وأقل تكلفة، مع سهولة التشكيل والتطويع والترميم.

يعد المعبد أحد أهم العناصر المعمارية في حضارة وادي الرافدين، وكان المعبد باعتباره بيت الإله أفخم المباني في المدينة وأعظمها زخرفًا وأبهةً، ويعود ظهوره إلى العصر المعروف بتل حلف في بداية الألف الخامس ق.م (مصطفى، ١٩٧٩)، وقد استمر في التطور إلى أن أخذ شكله النهائي في حوالي ٣٠٠٠ ق.م، وحسب المعتقدات الدينية فإن المعبد هو مقر وسكن الإله وزوجته وأولاده وأفراد حاشيته، فكان بذلك ذا مكانة مقدسة في المجتمع (حاطوم وآخرون، ١٩٦٥).

ولأنه مُخصص للعبادة وإقامة الطقوس والشعائر الخاصة بها كالاحتفالات الدينية فكان بناء معبد جديد من المهام التي تستلزم أداء طقوس معينة للتأكد من رغبة الإله المقام له المعبد قد تمت على الوجه المطلوب، وقد تصدر الأوامر من الإله إلى الملك أو الكاهن في هيئة حلم ببناء معبد، ومن أقدم الأمثلة وأكثرها تفصيلاً في هذا الشأن الحلم الذي روى تفاصيله الملك جوديا حاكم لكش ٢١٢٠ ق.م^(٦) (سواح، ٢٠٠٢).

بناء المعابد وترميمها من صلاحيات الحكام حيث توضح الكتابات والنصوص الأدبية تباهاى الحكام بمثل تلك الأعمال التي أوعزت بها الآلهة، باعتبار أنّ الملك هو ممثل الإله والمشرف على إدارة أملاكه، وهو الكاهن الأول فكان من اللازم أن يقوم بوضع حجر الأساس لبناء المعبد، وتوضح إحدى الألواح مشهداً دينياً يمثل الملك أورنامو مؤسس سلالة أور الثالثة وهو يقوم بسكب الماء المقدس إزاء إله القمر إله مدينة أور (لوحة رقم ٤)، ويتسلم الملك من الإله الأوامر المقدسة لتشديد زقورة أور، ويشارك في عمليات البناء بحمل سلة البناء على رأسه أو المعول والرفش على كتفه، ويساهم رمزياً في بناء المعبد، بوضع حجر الأساس للمعبد (عكاشة، د-ت؛ أمهز، ٢٠١٠) (لوحة رقم ٥).

يحمل المعبد قداسة دينية خاصة، ولما كانت عمارته على قدر كبير من الأهمية، تبدأ بتطهير الأرض التي سيتم بناء معبد عليها بإشعال النار (باقر، ١٩٤٧)، فكان بناء معبد جديد من المهام التي تستوجب أداء طقوس وشعائر معينة على درجة عالية من التعقيد، حيث يتم الشروع في البناء بعد أخذ الإذن والموافقة من الإله، وتتم عمليات البناء وفق إجراءات محددة منها أن يتم البناء في الموقع الذي يشغله المعبد القديم نفسه^(٧)، واستخراج الذخائر القديمة من الأساسات، ومن تم تطهير الموقع بالنار ورشه بالمواد العطرية (على، ١٩٨٨).

يتولى العراف تحديد يوم السعد من الشهر للشروع في عملية البناء، حيث يضع الملك اللبنة الأولى بنفسه وفق طقوس معينة منها الاغتسال ورفع الصلوات وتقديم القرابين للإله وقراءة التراتيل، مصحوبة بعزف الموسيقى، تُصنع اللبنة الأولى في قالبٍ من نوع خاص من الخشب يدهن بالزيت والعسل، ويعد القالب من ذخائر المعبد (مهران، ١٩٩٩).

وقد كان للعناصر الأساسية المستعملة في البناء أهمية دينية وسحرية، فاستعمال مادة الطين في البناء راجع إلى كونه المادة التي حُلق منها الإنسان وأعطى له ذلك نوعاً من القداسة، ومن جهة أخرى إن استخدام اللبن في بناء

(٦) تُون هذا الحلم على أربعة وخمسون عموداً، تم الكشف عنها في مدينة لكش، ألفها أحد الشعراء تكريماً لذكرى تشييد الملك جوديا لهذا المعبد، للمزيد ينظر: (السواح، ٢٠٠٤).

(٧) جرت العادة أن يبني المعبد الجديد في الموقع الذي كان يشغله المعبد القديم نفسه، ومن أهم الشواهد الأثرية على ذلك المعابد الثمانية عشر المكتشفة في مدينة أريبدو والتي تبدأ من عصر العبيد وتستمر حتى تشييد الملك السومري أورنامو الزقورة المشهورة عليها، للمزيد حول الموضوع ينظر: (الراوي وآخرون، ١٩٨٨).

المعابد دون المواد الأخرى كان غرضه أيضاً المحافظة على التقاليد المتوارثة فقد استخدم اللبن في بناء أولى المعابد الدينية (مورتكات، ١٩٧٥ ؛ سليم، ١٩٩٦)، كما أن مقياس اللبنة يحمل صبغة دينية وسحرية خاضعاً للآلهة، ويظهر ذلك جلياً من خلال ما رواه جوديا في حلمه من أن الآلهة هي التي أشارت عليه قياساتها عند بنائه معبد نكرسو، ومن بين الطقوس الدينية ذات المغزى السحري التي رافقت بناء المعابد هي وضع تماثيل الأساس في أساسات المبنى، ويتم وضع قطع حجرية على رؤوسها، فقد كانت تنحت على شكل أسافين وتُضع في أساس البناء من أجل دك الشر باتجاه العالم الأسفل (الذنون، ١٩٩٣؛ مورتكات، ١٩٧٥).

تعود بدايات هذه التماثيل وأقدمها إلى عصر فجر السلالات الثاني ٢٦٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م، وقد بينت التنقيبات الأثرية أن تماثيل الأسس السومرية الأولى قد وضعت في أسس المعابد وذلك أسفل الزوايا الأربعة للمعبد، وتحت كل من المداخل، ودكة المحراب.

استخدم الخشب، والحجر، والفخار في صناعة تماثيل الأساسات، وقد بلغت مستوى رفيع من حيث التنوع ودقة النحت في العصر السومري الحديث، وظهر نوع جديد من تماثيل الأسس في عصر أور السلالة الثالثة ٢١٠٠ - ١٩٥٠ ق.م، في شكل تمثال الملك الذي يحمل فوق رأسه سلة مواد البناء، ويقف فوق قاعدة تنتهي بشكل مسمار قصير، وقد نُحت جسم التمثال نُحتاً مدوراً كاملاً. وظهر هذا النوع من تماثيل الأسس لأول مرة في مدينة لكش (رشيد، ١٩٨٠)، ففي معبد أبكال بمدينة لكش ظهرت أربعة عشر أساساً أودعت فيها عشرة تماثيل نحاسية وأحجار منقوشة وأربعة أخرى تشير إلى اسم معبد أبكال المخصص للآلهة إنانا الذي بناه الملك (انانام الأول) حاكم مدينة لكش، تثبت هذه التماثيل على قواعدها بشكل وتد في الأرض ثم تغطي بواسطة صفوف من قوالب اللبن، وكانت الحجارة المنقوشة توضع وراء رؤوس التماثيل التي تتجه للشرق، كما عُثر أسفل صف الأجر الأول من أسس المصطبة على قطع من الأحجار الكريمة مثل: العقيق، والفيروز، واللازورد، ورقائق الذهب، إضافة على صفائح النحاس والجبس، وكمية من الأصداف، وتم نثر كمية من الرمل على الأرضية (القيسي، ٢٠١٨) أن هذه المقتنيات لها علاقة بالطقوس الدينية الخاصة بتطهير الأرض التي سيتم بناء بيت الإله - المعبد - الجديد عليها.

ومن العصر السومري الحديث جاءت كمية من تماثيل الأسس التي تمثل الآلهة الراكع الذي يمسك بالمسمار أو التود. وفي عهد أورنامو مؤسس سلالة أور الثالثة حوالي ٢٠٥٠ ق.م ظهر نموذج آخر يمثل الملك يحمل سلة مواد البناء باعتباره باني المعبد، يظهر فيه التمثال منحوتاً بصورة كاملة مع القدمين ويرتدي لباساً طويلاً حتى الكعب، ويقف على قاعدة مستديرة، وفي عهد الملك أورنامو ظهرت تماثيل الأسس المصنوعة من الخشب (رشيد، ١٩٨٥).

إضافة إلى التماثيل المصنوعة من البرونز التي عُرفت منذ زمن أورابا وجوديا في صورة إله راعع له لحية طويلة وتاج ذي أربعة قرون يدق وتدًا في الأرض بكلتا يديه (مورتكات، ١٩٧٥). وإلى جانب ذلك استخدمت أسطوانات من الطين توضع داخل صندوق يُصنع من الآجر ويطلّي بالقار، وقد وجدت نماذج منها في زاغورة أور (رشيد، ١٩٨٥). واستمر في العصر السومري الحديث النوع المعروف ب(الحيوان-المسمار) الذي استعمل في عصر فجر السلالات الثالث، ولكن بشكل ثور جالس فوق مسمار. واستمر استعمال النوع المعروف ب(الإنسان - المسمار) الذي ظهر لأول مرة في عصر فجر السلالات الثاني ٢٦٠٠ ق.م (رشيد، ١٩٨٠). توضع هذه التماثيل إلى جانب لوحات منقوشة وأوانٍ تتناسب مع أهمية المعبد في صندوق يُصنع من الآجر، وأرضيته من الحجر، ويطلّي بالقار، ويغطي بالحصير والاجر (صالح، ١٩٧٣).

يشكل المعبد في المجتمع السومري القديم بالإضافة إلى أغراضه الدينية باعتباره مكانًا للصلاة والعبادة، ومقر الإله يعيش فيه مع أسرته وحاشيته وخدمه، ويلتقى فيه مع الناس يستمع إلى شكواهم، وينصت إلى صلواتهم، ويتقبل قرايبتهم ومنحهم وهداياهم، وهو مركز للمؤسسة العسكرية والإدارة المدنية والحياة الاجتماعية والاقتصادية، فهو المحرك الأول في حياة المدينة، وهو مركز التنظيمات الزراعية والعمالية ومشاريع الري، ومقر القصر الملكي والخزينة والمحكمة حيث تُعقد فيه جلسات القضاء، ومركزًا علميًا للبحث والعلم والتأليف، وهو مخزن المحاصيل العامة، حتى بعد أن تقلص دور المعبد في الإدارة بقي ذا أهمية كبيرة احتفظ المعبد بمكانته الاقتصادية من حيث كونه مركزًا للإنتاج والانفاق والتوزيع وذلك بما يملكه من أملاك زراعية واسعة، وحظائر الحيوانات، والمستودعات ومشاغل الحرف ومخازن التموين، بالإضافة إلى ذلك يدير المعبد تجارة فعالة وينظم القوافل البرية والبحرية (باقر، ١٩٥٥؛ فرزات ومرعي، ١٩٩٤).

وقد انعكس ذلك في التصميم الهندسي للمعبد، حيث يتم تصميم قاعات خاصة بمختلف الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية داخل الحرم المقدس إلى جانب القاعات المخصصة للطقوس الدينية، وتحتوي تلك القاعات على مخازن ومكاتب لتوزيع المحاصيل وأماكن للكتابة والدراسة، وأخرى لحفظ الوثائق الإدارية التي كشف عن كميات كبيرة منها داخل المعابد، حيث تم التعرف على قوائم تضم أسماء العمال والعبيد، وسجلات بالرواتب والمصاريف العامة وعقود البيع والشراء، (أمهز، ٢٠١٠)، بعض الغرف كانت مخصصة تعلم فيها الكاهنات الموسيقى للفتيات الراغبات في احترافها (هامرتن، د ت) (لوحة رقم ٦).

تُصمم المعابد بما يتفق مع إقامة الشعائر والطقوس الدينية فيتم رصف المساحات المحيطة بقُدس الأقداس ليسير عليها الكهنة أثناء طوافهم. الغرف المخصصة للكهنة المكلفين بأداء الشعائر والطقوس ذات تصميم خاص فهي مبنية

بالطوب اللبن، وذات سقف مستوى يوحى شكلها الخارجي بأنها مُخصصة لعلية القوم، ومن الداخل يوحى تصميمها المعماري بالقداسة الدينية (عكاشة، د - ت).

كان المعبد في البداية عبارة عن حجرة صغيرة مربعة الشكل، وبمرور الزمن تطورت عمارة المعابد فازدادت المساحة وتعددت المرافق وتوسعت المهام حتى أضحى يضم أصناف مختلفة من الكهان من الرجال والنساء لكل منهم وظيفة خاصة، ويتميز المعبد بعدة خصائص ذات مغزى ديني عُرفت منذ عصر العبيد وظلت ملازمة للمعبد في مختلف المراحل التالية، ويمكن إيجازها في النقاط التالية (علي، ١٩٨٨ ؛ مورتكات، ١٩٧٥):

- اتجاه زوايا المعبد نحو الجهات الأربع.
- وجود طلعات ودخالات في جدرانه الخارجية وبشكل خاص بالواجهة.
- القاعة المقدسة أو حجرة الهيكل التي تحتوى على تمثال الإله، والمذبح.
- مائدة أو دكة توضع عليها القرابين.
- وجود غرفة داخلية بها دكة في أحد الجدارين القصيرين تستخدم للاستراحة.

ومن جانب عملي يتبين أن افتقار بلاد الرافدين إلى الأحجار دفعت السكان إلى استخدام الطين مادةً أساسيةً للبناء نظرًا لتوفرها وقلة كلفتها.

التطور التاريخي للعمارة الدينية:

شُيّدت أولى المباني الدينية في مدينة أريدوا، وهي تعود إلى دوري العبيد الأول والثاني (الألف الخامس ق.م) والتي كشفت عنها الحفريات الأثرية، ويتبين من خلال مخططها البسيط أنها تنسجم مع مستوى متطلبات الحياة اليومية في ذلك العصر، وأنها بنيت على الأرض المنبسطة (القيسي، ٢٠١٨). ومن الملاحظ أن تصميم هذه المعابد شمل عناصر معمارية ظلت عناصر رئيسة في العمارة الدينية عبر فترات زمنية طويلة، فهي عبارة عن بناء صغير مربع التصميم لا يزيد طول ضلعه عن ثلاثة أمتار، يوجد بأحد أضلعه تجويف أو كوة مخصصة لوضع تمثال العبادة داخله فوق قاعدة عالية مشيدة من اللبن، وفي الفترات التالية زادت المساحة بحيث أصبح يتألف من رواق أوسط يتضمن مذبح وطاولة للندور، وغرف جانبية (عكاشة، د - ت ؛ أمهز، ٢٠١٠).

تطور الأمر في عصر العبيد الثالث (٤٠٠٠-٣٥٠٠ ق.م) فبدأت مخططات المعابد تشهد تطورًا ملحوظًا في هندسة البناء، حيث أصبح المعبد يُشيد فوق مصطبة بسيطة، ومن أهم الأمثلة عليها (معبد إنكي في أريدو).

أ.معبد إنكي في أريدو:

كان أول ظهور للمعبد السومري في النصف الأول من الألف الرابع ق.م خلال فترتي الوركاء والعبيد، فقد تم الكشف عن ثلاثة معابد بمدينة أريدو مشيدة فوق بعضها، ومع أنها لم تحافظ على شكلها العام، ولكن أمكن التعرف على المخطط المعماري للأعلى منها، الذي يبدو أنه قائمًا على التناظر والترتيب المنظم، ويحتوي على دكة للقرابين تتوسط الباحة الرئيسة التي كانت مستطيلة الشكل، ويقوم على الجانبين صف من الغرف الصغيرة، ويقع مدخل المعبد على الجدار الجنوبي الطويل، ينتصب المعبد على مصطبة غير متناسقة، يتم الصعود إليها بواسطة سلمان، هذه المصطبة هي التي تطورت فيما بعد إلى زقورة، تميزت أيضا بأن واجهاتها مزينة بطلعات ودخلات عمودية تعمل على تقوية الجدران إضافة على كونها زينة معمارية، بحيث تعمل على إيجاد قيم ضوئية وظلية متباينة على سطح الجدران أثناء تعرضها لأشعة الشمس، والتي أصبحت واحدة من سمات العمارة في بلاد ما بين النهرين (الجادر، ١٩٨٥؛ البياتي، د-ت؛ مورتكات، ١٩٧٥)، تميزت بوجود مواقد نيران عليها آثار حرق شديد مما يؤكد أنها كانت مخصصة لحرق القرابين، وتنوعت القرابين والهدايا النذرية المقدمة في هذه المعابد فشملت قطع أثاث مزينة بفسيفساء من اللازورد، وأسلحة، وأعلام ومخاد وأقمشة وأعداد كبيرة من الأواني الفخارية. (لينتسن، ١٩٩٠).

شهدت عمارة المصاطب تطورًا مميزًا خلال العصر المعروف بالعصر الشبيه بالكتابي (٣٥٠٠-٢٨٠٠ ق.م) سواء من حيث مواد البناء حيث استخدمت الأحجار الكلسية في تشييد معبد مدينة الوركاء الذي عُرف باسم المعبد الكلسي الذي يعد من أكبر مباني هذا العصر (مورتكات، ١٩٧٥). كما شهدت هذه المرحلة تطورًا آخر في مخططات المعابد حيث شُيدت على مصاطب اصطناعية ذات طبقة واحدة أو طبقتين، ومن أهم معابد هذه الفترة ما يلي:

ب. المعبد الأبيض في الوركاء:

شيد السومريون العديد من المعابد من هذا النوع أهمها وأقدمها المعبد الأبيض بالوركاء، الذي أمكن تحديد تاريخه بعصر جمدة نصر في حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م، وسمي بهذا الاسم لطلاء جدرانه باللون الأبيض، ويحمل أيضًا اسم معبد الإله أنو الذي أقيم تمجيدًا له (لوحة رقم ٧)، وشُيد على مصطبة مرتفعة من القرميد غير منتظمة الشكل، مساحتها ٦١ × ١٦ م، ويتم الصعود إليها بدرج ثلاثي ضخم، ويؤدي الدرج المقام في الجهة الشمالية إلى معبد صغير مطلى باللون الأبيض، يقوم مخططه على الحرم الداخلي تتوزع حوله قاعة كبيرة لممارسة الطقوس والشعائر الدينية، ومجموعة غرف صغيرة مخصصة لقبية الطقوس التعبدية، ودكة القرابين والمذابح، زينت واجهة المعبد بألواح تنزلق نحو الداخل بزوايا صغيرة، إن ارتفاع المعبد فوق مصطبة صناعية يخدم عدة أغراض منها إعطاء المعبد بعدًا دينيًا، أيضًا سعي الديانة السومرية إلى إيجاد وسائل اتصال بين السماء التي تعد مقر الآلهة العلوي وبين الأرض التي يوجد بها مقر الآلهة الأرضي، (البياتي، د-ت؛ لويد، ١٩٩٣)؛ فنشأت الزقورة من مصطبة قليلة الارتفاع

ثم صارت تتألف من طبقتين، وشهد المعبد العديد من أعمال التطوير والإضافات فقد أضيفت إلى المبنى طوابق علوية ترتفع حوالى أربعين قدما، وزخرفت أعمدته بطبقة من الفسيفساء (لوحة رقم ٨)، وأخذ ارتفاع الطبقات يزداد ويتضاعف حتى وصل في العصور التالية إلى سبع طبقات، إن إقامة هذا المعبد فوق رابية مرتفعة يعد الطراز الأول للمعابد المرتفعة (الزقورات) التي أصبحت العلامة المميزة لفن عمارة المعابد في بلاد ما بين النهرين (كريمير، ٢٠٠٤؛ عبد الجواد، ١٩٧٠)، ومنذ العصر السومري الحديث بدأت تترسخ فكرة الأبراج المدرجة أو ما يعرف بالزقورات لتكتمل فكرة بنائها وتصبح مكونة من عدة طبقات قد تصل إلى سبع طبقات كما هو الحال في المرحلة الأخيرة من تطور بناء الزقورة (سعيد وآخرون، ١٩٨٥).

ج. المعبد البيضوي في خفاجي:

أما المعبد البيضوي في خفاجي فقد شهد ثلاث مراحل من البناء تعود إلى عصر فجر السلالات وتعتبر المرحلة الأخيرة هي الأكثر اكتمالاً (سعيد وآخرون، ١٩٨٥، ص ١١٦)، عُرف بهذا الاسم لأن شكله الخارجي بيضوي (لوحة رقم ٩)، وهو يشغل مساحة واسعة تقدر بحوالي ٨٠٠٠ متر مربع، (باقر، ١٩٥٥). يعود تاريخ المعبد إلى عصر ميسيليم (٢٥٠٠ ق.م)، هذا العصر الذي شهد تطوراً في بعض الأفكار الميثولوجية مما انعكس على تصميم وبناء المعابد منها انتقال شخصية الإلهة إنانا من صورة الإلهة الأم إلى صورة سيدة السماء العليا مما انعكس على المخطط الأرضي للمعابد، وفي استخدام طوب اللبن المحذب المستوى مع أنه غير مناسب للبناء لأن السطح الأعلى منه محذب فكان لا بد من استخدامه بطريقة تُصَف فيها القوالب على الجانب، كما حدث تطور آخر في بناء الأساسات التي أصبحت تدفن في خنادق عميقة في الأرض، تميزت هذه الفترة أيضاً بسيادة فكرة الازدواجية المتسامية والنظرة الثنائية للحياة، وذلك بفصل المناطق المقدسة للآلهة عن المنطقة الدنيوية فتم بناء جدار ثانٍ بيضوي الشكل حول جدران المعبد الأساسية، وهو أشبه بالجدار السميك الواقي الذي عرف باسم (كيسو)، ويتجلى التغيير المعماري في تقنية أساسات البناء، وذلك بحفر خندق بعمق ٨ متر ثم شيدت الأساسات وردمت الحفرة برممل نظيف قُدرت بحوالي ٤٦,٠٠٠ متر مكعب جُلبت من خارج المدينة، ثم بُنيت الجدران، مما يدل على قدسية الأرض التي بُنى عليها المعبد وطهارته التي لم تَدنَس من قبل البشر، واتسعت في مخططاتها وأحجامها، وأصبحت تظهر أسماء الآلهة المخصصة لها مما يشير إلى تبلور الفكر الديني وما يتبعه من شعائر وطقوس، كذلك ظهور طبقات الكهنة والفصل بين وظيفة الكهانة والحاكم (مورتيكات، ١٩٧٥؛ عكاشة، د - ت، لويدي، ١٩٩٣).

شُيد المعبد على ثلاث مصاطب، المصطبة الأولى بيضوية الشكل ترتفع حوالى ٧٠ سم، يتم الصعود إليها بواسطة سلم مكون من أربعة درجات عبر مدخل يقع في الجانب الشمالي الغربي، واحيط بالمصطبة جدار بيضوي الشكل أبعاده ٧٣×١٠٥ متراً وبسمك ١,٥ متراً مشيد بالطوب اللبن المستوى المحذب، المصطبة الثانية بيضوية الشكل

ترتفع حوالي ١٢٥ - ١٥٠ سم، ويحيط بها جدار أبعاده ٦٠×٨٠ مترًا، تضم ساحة واسعة بها آبار وأحواض للماء وعدد من الغرف، أما المصطبة الثالثة فهي مربعة الشكل أبعادها ٣٠×٢٥ مترًا وارتفاعها ٤ أمتار، ويتم الصعود إليها عن طريق سلم عمودي يقع في ضلعها الغربي، ويفترض أنّ قدس الأقداس قد شيد أعلاها، ويوجد في أحد أطرافها ساحة مستطيلة الشكل أبعادها ٣٨ × ٥٨ مترًا، ويحيط بها جدار بيضوي يحتوى على مرافق المعبد الأخرى والحجرات الخاصة بسكن الكهنة، وزينت جدران المصطبة الأخيرة بطلعات ودخلات، ويوجد في الضلع الشمالي الغربي منها مذبح يتكون من درجتين (سعيد وآخرون، ١٩٨٥).

كما عرف السومريون عدة أنواع من المعابد - من حيث الشكل - أهمها معابد الآلهة الرئيسة المنفردة، وهي عادة معابد أرضية تكون في مناطق مركزية داخل مواقع المدن صُممت لهذا الغرض، وهناك المعابد المرتفعة فوق المصاطب المشيدة من اللبن بطبقة أو طبقتين وهي في حقيقتها استمرار لمعابد فترات العبيد والوركاء وجمدة نصر، وهناك المعابد الملاصقة للزقورة وهي معابد أرضية منخفضة تقام في الصحن المحيط بالزقورة ولها واجبات تكميلية للمعبد (سعيد وآخرون، ١٩٨٥).

المعبد العالي (الزقورة):

تعددت الآراء حول الفكرة التي تمثلها الزقورة فقد اعتبر البعض أنها ترمز إلى السمو والعلو، فهذا الطراز من البناء يتفق مع تطور الفكر الديني السومري، (باقر، ١٩٥٥؛ سليم، ١٩٩٦) فهي بمعناها العلوي بمثابة بيت الإله النازل من السموات السبع إلى الأرض، ويحل في الهيكل الذي بني تكريمًا له على الأرض، أي أنها ترمز للسموات السبع، والمدرجات هي بمثابة السلم الواصل بين السماء والأرض، والمعبد الكائن في أعلى طابق منها بمثابة باب السموات أو الرابط بين السماء والأرض (محفل، د - ت).

وهنا جاء تعريف الزقورة بمعنى القمة المرتفعة أو الصرح المدرج؛ بأنها بناء صلد مرتفع، مُكون من ثلاث طبقات مستطيلة أو مربعة الشكل، يوجد في الطبقة العليا منه حرم مقدس، يتناقص حجمها كلما زاد الارتفاع؛ حتى تصبح في هيئة هرم مدرج، وتُبنى الطبقات بطريقة منحرفة إلى الوراء؛ حتى يتاح بناء سلم أمامي متدرج يصل بين الطبقات (المالكي، ٢٠٠٧)، الجدران الخارجية للزقورة تُوَظَر بالأجر والطوب اللبن، ومن المعتقد أن بناء الزقورة قد تطور عن أسلوب بناء المعابد الأولى على مصاطب اصطناعية من اللبن، (كاظم، ٢٠١٠).

ويتم تعليل اتخاذ السومريين أماكن مرتفعة لبناء مراكز عبادتهم لأكثر من سبب فأحد الباحثين يرى أن البيئة الجغرافية التي أنحدر منها السومريين كانت ذات طبيعة جغرافية جبلية فكانوا يقيمون معابد آلهتهم في مواقع مرتفعة،

فنقلوا هذه الطريقة إلى موطنهم الجديد، كما أنّ الوطن الجديد كان عرضةً لفيضانات الأنهار، مما حدا بهم إلى بناء قاعدة مرتفعة على شكل مصطبة فسيحة كانوا يقيمون عليها معابدهم (الباشا، ٢٠٠٠).

ويذهب باحث آخر إلى اعتبار أنّ السومريين اعتمدوا التقويم القمري في حساباتهم، وكانت رؤية الهلال جانباً مهماً في الطقوس الدينية، ولذلك كان لابدّ من وجود مكان مرتفع لمراقبة ظهور الهلال (سليم، ١٩٩٦)، ويتضح هنا أثر البيئة الطبيعية في ذلك، بينما يرى باحث آخر أن بناء المعابد على مستوى أعلى من بقية مباني المدينة يجعل من المعبد محط أنظار الناس، خاصة وأن الآلهة حسب الميثولوجيا السومرية تسكن السماء؛ وبالتالي فإن الإله دائماً يكون في الأعلى، (محمد وكامل، ٢٠١٦)، وقد ارتبط تطور النمط المعماري بتطور الفكر الديني وما يرتبط به من طقوس وشعائر دينية فارتفع المعبد نسبياً فوق مستوى سطح الأرض يُمكن المتعبد من الاقتراب من القوى الإلهية السماوية، كما أن السلم المؤدى إلى قمة المعبد يحمل دلالة الصعود إلى السماء، إضافة إلى اعتبار الزقورة مقراً يستريح فيه الإله عند نزوله من السماء إلى الأرض (عبد الحليم، ١٩٨٣).

فضلا عن سيطرة المعبد على إدارة المدن منذ فترة العبيد فكان المعبد يمثل بالدرجة الأولى مؤسسة دينية؛ ولكن سيطر على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكان لا بُدّ من الارتفاع بمبنى المعبد ليُشرف على جميع أحياء المدينة، فيضفي الارتفاع على مبنى المعبد الهيبة والقداسة.

تشابه مباني الزقورات في شكلها مع هرم سقارة المدرج بمصر، مع الاختلاف في الوظيفة الرئيسة لكلّ منها، فالأهرامات المصرية عامة كانت مقابر، والزقورات معابد ومدارج يهبط الآلهة على قممها ويستقرون في قاعدتها، وهي تتكون عادة من سبع طوابق مختلفة في الحجم والنسب، ويحمل كل منها لون حيث استخدم اللون استخداماً رمزياً ذو دلالة على الحياة والموت، كما يرمز إلى أحد الكواكب السبعة: فكان الطابق السفلي أسود وطُليت بالقار وتدل على العالم السفلي، ويرمز لزلزل، والثاني أبيض بلون الزهرة، ويعلوه طابق المشتري الأرجواني باستخدام الطابوق الأحمر، ويدل على الأرض حيث تعيش المخلوقات، ثم طابق عطارد الأزرق، ويتلوه طابق المريخ القرمزي، ثم طابق القمر الفضي، وأخيراً طابق الشمس بلونه الذهبي حيث السماء عالم الآلهة حيث النقاء والوضوح والعدل، ويشير كل طابق في نفس الوقت إلى أحد أيام الأسبوع (قادوس، ٢٠٠١؛ البياتي، د-ت).

تعد زقورة الإلهة إنانا بمدينة أور من أوائل الزقورات التي بناها السومريون، والتي شيدها الملك أورنامو في نهاية الألف الثالث ق.م، وأكمل بناءها ابنه شولجي، والتي تعتبر امتداداً سواء في شكلها وهدفها الديني للعصور التي سبقتها، حيث يشير أحد الباحثين إلى أن الزقورة بشكلها المعروف منذ زمن أورنامو هي مجرد تسام وتقديس شكليين لما قد ظهر قبلاً وتطور أثناء إعادة بناء المعابد خلال قرون، كما هو الأمر بالنسبة إلى زقورة انو - المعبد

الأحمر - في الوركاء أو المعابد السومرية الأولى في أريدو، فقد تم بناء المعبد الرئيس على منصة عالية، وبما أن أورنامو بنى المعابد المدرجة في مدن أور والوركاء وأريدو ومدن أخرى في الموضع نفسه الذي كانت تقوم فيه في العصور السابقة المنصة العالية للمعبد الرئيس (مورتكات، ١٩٧٥)، وبالتالي من الممكن الافتراض أن هناك تقاليد ومفاهيم دينية ساهمت في تطور العمارة الدينية السومرية (لوحة رقم ١٠).

تعد زقورة أور من أكبر الزقورات المعروفة إذ تبلغ مساحتها حوالي ٦٠ × ٥٤ مترًا، وارتفاعها حوالي ٢١ مترًا، وهي كتلة من الطوب اللبن (قرميد مجفف بأشعة الشمس)، مدعم بعدة طبقات من القصب المنسوج، تكسوها أو تغلفها واجهة من الطوب المحروق سمكها ٢,٥ متر، في شكل طلعات ودخلات، أما زواياها الأربعة تواجه الجهات الأصلية الأربعة، وترتفع أسوار الطبقة السفلى نحو ١٥ مترًا بميل ملحوظ نحو الداخل، أما أبعادها عند القاعدة فتبلغ ٦١ × ٤٥,٧ مترًا، وتدعم بأكتاف قليلة البروز، وكانت الشرفات التي تحيط بقواعد الطبقات تتسع عند طرفي المستطيل نظرًا إلى أن الطبقات العليا كانت تميل إلى أن تصير مربعة، أما السلم فيهبط متعامدًا مع الضلع الشمالي الشرقي، ويؤدي إلى الطبقة العليا التي شيد عليها المعبد العالي، أما السلطان الجانبان فانهما يرتبطان بالسلم الرئيس عند الطبقة الأولى وينفصلان عند الطبقة الثانية (لوحة رقم ١١)، وأقيم فوق السطح المربع للطبقة الثالثة العليا الحرم المقدس أو المعبد العلوي، وكان يتكون من غرفة واحدة صغيرة التي عرفت باسم (شاخورو) بمعنى قاعة الانتظار؛ مُعدة لتجلي الإله الذي يبحر عبر السماء، وكان دخولها مقصورًا على طبقة الكهنة فقط (الباشا، ٢٠٠٠؛ علي، ١٩٩٦؛ لويد، ١٩٩٣)، وقد قام فيما بعد الملك الكلداني نابونيد بإعادة بناءها في القرن السادس ق.م، فأصبحت في عصره ذات سبع طبقات (حداد، ١٩٩٥؛ مورتكات، ١٩٧٥).

وفي هذا الجانب أشار المؤرخ اليوناني هيرودوتوس (Herudotus, 1, 181) إلى أن المعبد المقام على الزقورة كان يحتوى على لوازم العبادة الرئيسة مثل المقعد والمائدة، وهذا يتوافق مع الدكة ومائدة القرابين في المعبد الأرضي، كما أشار إلي أن طقوس الزواج المقدس الذي يقام في عيد الأكيثو يتم في المعبد العالي، ومن هنا يمكن أن نربط بين المعبد العالي وبين مصطلح جيجونا (Giguna) الذي ورد في النصوص المسمارية باعتباره المكان المعتاد لإقامة طقوس ذلك الحفل (مورتكات، ١٩٧٥).

بدن الزقورة يُشيد بعدة طبقات من اللبن تترك بينها طبقات من البردي والحصير والحبال المصفورة لتسليح البناء وتقويته وضمان استقرار كتلته، وتشد الحبال في نهاياتها حول أوتاد للتثبيت، ولتلافي ظاهرة التعرية فإن الكتلة الطينية تغلف بالآجر أو الطابوق (عبد الرزاق، ٢٠١٢).

المعبد الأرضي:

لا يختلف المعبد الأرضي كثيرًا في غايته عن الزقورة، بعد الاستراحة في الأعلى ينزل الإله إلى المعبد الأرضي الذي يمثل مكان استراحة الآلهة حيث تجلس فيه لاستماع صلوات المتعبدين، وتقبل قرايبتهم، والاستماع إلى مطالبهم وشكاويهم والاستجابة لهم، فتكون المعابد الأرضية بمثابة قاعات للاستماع يستمع فيها الآلهة إلى البشر، وعلى أساس هذه الفكرة أقيم المحراب الموجود في حجرة الهيكل بهيئة باب مصمت رمزًا لدخول وخروج الإله منها، ومن هنا أطلق على حجرة المحراب أو الهيكل باب الإله، وباعتبار أن الإله يجلس هنا ليستمع للمتعبدين فقد أقيمت في المحراب دكة أو مذبح، يوضع فوقها تمثاله، وتعد بالتالي هي أقدم جزء في المعبد، وقد تكون وحدها معبدًا قائمًا بذاته (باقر، ١٩٤٧)، قد يكون المذبح بسيطًا في تكوينه المعماري لا يتعدى كومة تراب، أو يكون فخماً ومتقناً في هيئة منضدة حجرية تحمل زخارف حيوانية مثل الأسود والفهود، وعادة ما تكون على شكل مربع تعلوه قبة ذات أعمدة تستقر على زوايا المائدة أو ملتصقة بجوانبها، وتوضع أمام تمثال الإله صباحًا ومساءً، وكانت القرايين من أهم العبادات العملية، لأنها تطهر النفوس وتدفع عن الإنسان المصائب وتطيل العمر (العتابي وضحي، ٢٠١٣).

وبالنسبة لتصميم المعبد الأرضي فكان المدخل يؤدي إلى حجرة تسمى حجرة المدخل أو حجرة الحاجب، وتؤدي هذه الحجرة إلى صحن المعبد، وهو فناء واسع مخصص لإقامة الاحتفالات الدينية، التي تفضي إلى حجرة أخرى، حملت اسم (شاخورو) تناظر حجرة الانتظار في معابد الزقورة، تؤدي إلى حجرة الهيكل أو قدس الأقداس حيث يوجد المحراب وتمثال الإله الذي جرت العادة على وضعه على دكة داخل المحراب، ودكة المذبح التي تقدم عليها القرايين، وفيما عدا هذه الأجزاء الرئيسة توجد ساحات خارجية تحيط بها حجرات خاصة بالكهان والكاهنات والمشرفين على إدارته، ومخازن مخصصة للقرايين المقدمة للآلهة، وبعضها للتطهير المقدس، وتضم المعابد تماثيل العديد من الآلهة وضعت في حجرات ثانوية مع تمثال الإله الرئيس الذي شُيد له المعبد، كما يضم المعبد مكتبة تحتوي على وثائق مما له علاقة بالحياة الدينية مثل الصلوات والأناشيد وقصص الخليقة والتكوين (على، ١٩٨٨؛ قادوس، ٢٠٠١).

أنواع المعابد الأرضية:

من الملاحظ أن تصميم المعبد الأرضي اختلف من منطقة إلى أخرى، ويقسمها المختصين حسب أشكال غرفها ومخططاتها إلى عدة أنواع هي على النحو التالي:

١- المعابد الجنوبية:

امتازت هذه المعابد بأنها اعتمدت على تخطيط يقوم على وجود الفناء الأوسط أو ما يسمى (معبد البيت البابلي)، وهو يشبه في تخطيطه المسكن من حيث إن له غرفة مجاز وفناء تحيط به غرف عدة، تكون الغرفة الرئيسة

مطلّة على ضلع الفناء المقابل للمدخل، وبالتالي أقيم أقدس مكان في المعبد - المحراب - في نفس محور المدخل، أي أن الداخل إلى المعبد يواجه مباشرة قدس الأقداس (سعيد، ١٩٨٥ ؛ رشيد، ١٩٨٥) (لوحة رقم ١٢).

٢ - المعابد الشمالية:

وهي ذات صالة طويلة رئيسة (قدس الأقداس) يقع مدخلها إما في الجانب الطولي من المبنى، وإما في الجانب العرضي المقابل لدكة تمثال الإله. وقد حُرّفت المداخل عن المحارِب وجعلتها في جهة تضطر الداخل إلى المعبد أن يدور بزوايا قدرها تسعون درجة حتى يواجه المحراب (سليم، ١٩٩٦) (لوحة رقم ١٣). وعُرف نوعان منها:

- النوع الأول معابد على طراز المحور المنكسر:

عُرف بهذا الاسم لأن الداخل الذي يريد مقابلة تمثال الإله يضطر إلى الانعطاف بزوايا تسعين درجة عند حركته من الباب، ويتميز هذا النوع بأن قاعة المحراب توازي بضلعها الطويل الساحة التي أمامها وتلتصق بها وتفتح عليها بالمدخل الذي في زاوية الضلع (سعيد، ١٩٨٥).

- النوع الثاني معابد طولية الغرف:

ويعرف بالمعابد الطولية حيث يكون الداخل قبالة تمثال الإله وعلى المحور الطولي لغرفة المحراب، وفيها تكون القاعة عمودية بمحورها الطولي على الساحة التي تسبقها حتى وإن لم تلتق بها مباشرة، وعموماً فإن معابد المحور المنكسر لا ترتبط بوجود غرفة تفصل تمثال الإله عن الداخل، أما في المعابد الطولية فإن وجود المدخل في مواجهة تمثال الإله كان لا بد من وجود حاجز في شكل غرفة صغيرة تفصل بين التمثال وبين الداخل (سعيد، ١٩٨٥).

النتائج:

- الظروف المناخية والعوامل الطبيعية كان لها أثر واضح في نشأة الديانة السومرية وفي تعدد الآلهة وتنوع خصائصها وصفاتها.
- شكلت الطقوس والشعائر الدينية الجانب العملي من العقائد الدينية، وتولت طبقة الكهنة مهنة الأشراف عليها مما كان له أثر في سيطرة تلك الطبقة على مقدرات المدن السومرية حتى أصطلح على تسميتها بدويلات المعبد.

- أن تنوع الطقوس والشعائر الدينية والزخم الديني الذي فرضته أثرت بشكل مباشر في تخطيط المعابد حيث صُممت العديد من المقرات الدينية من حجرات وباحات داخل المعابد لممارسة تلك الشعائر.
- تأثرت العمارة في بلاد ما بين النهرين بالعديد من العوامل سواء أكانت طبيعية أم سياسية أم اقتصادية غير أن المعتقدات الدينية كان لها الدور الأبرز من حيث التخطيط الهندسي ومواد البناء والتقسيمات الداخلية.
- إن بناء معبد جديد أو صيانة وترميم معبد قديم من الأمور التي تستوجب القيام بالعديد من الطقوس والشعائر الدينية والسحرية الخاصة باعتبار أن المعبد يحمل قدسية خاصة، وبالتالي لا بد أن تُنفذ بطريقة ذات فاعلية عالية وطبقًا للإجراءات المتوارثة والمتعارف عليها.
- إن المعبد باعتباره مؤسسة دينية وعسكرية ومدنية فقد انعكس ذلك على تصميمه الهندسي، حيث حُصصت قاعات داخل المعبد تدار فيها جميع أوجه نشاطات الحياة اليومية في المدينة السومرية.

قائمة المراجع

- إبراهيم، نجيب مخائيل (١٩٦١)، حضارة العراق القديمة، د - ن، القاهرة.
- أبو شقراء، سامي (١٩٨٩)، موسوعة الأديان، ج ١، دار الاختصاص للنشر، بيروت.
- الأحمد، سامي سعيد (٢٠١٣)، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت.
- أمهز، محمود (٢٠١٠)، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية.
- الأمين، محمود حسين (٢٠١٨)، أكيثو أو عيد رأس السنة البابلية وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت، اشوربانيبال للكتاب، بغداد.
- الباشا، حسن (٢٠٠٠)، الفنون القديمة في بلاد الرافدين، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر.
- باقر، طه (١٩٤٧)، معابد العراق القديم، مجلة سومر، مجلد ٣.
- فرنسيس، بشير (١٩٥٤)، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر - نزول عشتار (اينانا) إلى العالم السفلي - مجلة سومر، الجزء الأول، المجلد العاشر.
- (١٩٥٥)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - تاريخ العراق القديم - ط٢، دار المعلمين العالمية، بغداد.
- (١٩٧٦)، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد.

- بشور، وديع (١٩٨١)، سومر وأكاد، د - ن، دمشق.
- بصمة جي، فرج (١٩٦٠)، الوركاء، مطبعة الرابطة، بغداد.
- بوكيت، أ.س. (د - ت)، مقارنة الأديان، ترجمة رنا سامي الخشن، دار الرضوان.
- البياتي، عبد الحميد فاضل (د - ت)، تاريخ الفن العراقي القديم، جامعة بابل.
- الجادر، وليد (١٩٨٥)، العمارة حتى عصر فجر السلالات، ضمن كتاب حضارة العراق، الجزء الثالث، دار الحرية، بغداد.
- الجبوري، عباس زويد (٢٠١٨)، عمارة المباني الدينية من العصر الأكدي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، العدد ٩.
- جاكوبسن، ثوركيلد (١٩٨٠)، أرض الرافدين، ضمن كتاب ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- (٢٠٠٤)، أديان ما بين النهرين (إطالة عامة)، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ضمن كتاب موسوعة تاريخ الأديان - الكتاب الثاني - تحرير فراس السواح، منشورات دار علاء الدين، دمشق.
- الجميلي، عامر (٢٠٠٥)، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- حاطوم، نور الدين وآخرون (١٩٦٥)، موجز تاريخ الحضارة، ج ١، مطبعة الكمال، مصر.
- الحبوبي، شيماء ماجد (٢٠١٨)، الحياة والموت في الفكر العراقي القديم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٥، حزيران.
- حتى، فيليب (١٩٦٥)، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت.
- حسين، إيمان لفنة (٢٠٠٩)، الطقوس الجنائزية في بلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد ٨، العدد ٤.
- حداد، (١٩٩٥)، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ج ١، مطبعة جامعة دمشق، دمشق.
- حنون، نائل (١٩٧٨) شخصية الإلهة الأم ودور الإلهة إنانا عشتار في النصوص السومرية والآكدية، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الرابع والثلاثون.
- (١٩٨٠)، هل كان تموز في عقائد السومريين والآكديين إلها للخصوبة أو من آلهة الموت، مجلة سومر، المجلد السادس والثلاثون.
- (١٩٨٦)، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

- (٢٠٠٦)، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ج ١، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق.
- خليف، بشير (٢٠١١)، نشوء فكرة الألوهة مقارنة تاريخية فكرية، ط ١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- الذنون، عبد الحكيم (١٩٩٣)، الذاكرة الأولى دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين، ط ٢، دار المعرفة.
- الراوي، فاروق ناصر وآخرون، (١٩٨٨)، المدينة والحياة المدنية، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- الربيعي، خالدة عبد المحسن (٢٠١٣)، تاريخ الأزياء وتطورها، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان.
- رشيد، صبحي أنور (١٩٧٧)، دراسة آثارية مقارنة لتاريخ الآلات الموسيقية في مصر والعراق القديم، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الثالث والثلاثون.
- (١٩٨٠) تماثيل الأسس السومرية، دار الرشيد، بغداد.
- (١٩٨٥)، حول ودائع صناديق المباني في بابل، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الحادي والأربعون.
- رشيد، فوزي (١٩٨٥)، المعتقدات الدينية، ضمن كتاب حضارة العراق، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- رشيد، عبد الوهاب حميد (٢٠٠٤)، حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - دار الثقافة، دمشق.
- رشيد، عادل فائق (د - ت)، ثنائية الأسرة عند الآلهة القديمة، مجلة مداد الآداب، العدد السادس عشر.
- رنييه، لابات (١٩٨٨)، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة البير أبونا ووليد الجادر، بغداد.
- زودن، ف. (٢٠٠٣) مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سوريا.
- سبع، أحمد ناجي (٢٠١٢)، أور في زمن آبي - سين ٢٠٢٨ - ٢٠٠٤ ق.م، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، المجلد ٢، العدد ٢، كانون الثاني.
- سليم، أحمد أمين (١٩٩٦)، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

- سليمان، عامر (١٩٩٣)، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ الحضاري، دار الكتب للطباعة والنشر.
- سعفان، كامل (١٩٨٩)، موسوعة الأديان القديمة - معتقدات آسيوية - دار الندى، مصر.
- سوسة، أحمد (١٩٨٦)، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج ٢، بغداد.
- سعيد، مؤيد وآخرون (١٩٨٥)، العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث، "حضارة العراق"، الجزء الثالث، دار الحرية، بغداد.
- السواح، فراس (٢٠٠٢)، لغز عشتار الالهة المؤنثة وأصل الدين والاسطورة، ط ٨، دار علاء الدين، دمشق.
- (٢٠٠٢)، دين الإنسان، ط ٤، منشورات دار علاء الدين، دمشق.
- (٢٠٠٤)، موسوعة تاريخ الأديان - مصر، سورية، بلاد الرافدين، العرب قبل الإسلام - الكتاب الثاني، دار علاء الدين، دمشق.
- الشناوي، محمود أيوب (٢٠٠٢)، الدين في الحضارات الشرقية وأثره على الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان، ط ١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، طنطا.
- الشواف، قاسم (١٩٩٧)، ديوان الاساطير ج ٢ سومر واكاد وأشور، دار الساقى، بيروت.
- صالح، عبد العزيز (١٩٧٣)، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول - مصر والعراق -، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- عبد الجواد، توفيق حمد (١٩٧٠)، تاريخ العمارة والفنون عبر العصور، ج ١، ط ٢، د- ن.
- عبد الحلیم، نبيلة محمد (١٩٨٣)، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، القاهرة.
- عبد الرزاق، نجیل کمال (٢٠١٢)، الخصائص التخطيطية والتصميمية للمباني والمستوطنات الطينية في العراق، مجلة المخطط والتنمية، العدد ٢٥.
- عبد الغني، فوزية عبد الله (٢٠١٦)، الدلالات الحضارية والدينية لهيئة رؤوس الثيران في بعض مناطق حضارات شبه الجزيرة العربية من بداية الألف الثالث حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول.
- عبد القادر، خليل سعيد (١٩٨٩)، القران مفهومه دلالاته في العصر السومري، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦، مطبعة الأمة، بغداد.
- (٢٠٠٣)، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، بيسان للنشر والتوزيع، سوريا.

- العتايبي، عبد الهادي طعمة؛ ضحى، سحر خليفة (٢٠١٣)، المذابح في بلاد وادي الرافدين، مجلة كلية التربية واسط، العدد الثالث عشر، نيسان.
- عكاشة، ثروت (د - ت)، الفن العراقي القديم سومر وبابل وأشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة.
- علي، فاضل عبد الواحد (١٩٧٨)، أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الانشاد لسليمان، مجلة سومر، المجلد الرابع والثلاثون، الجزء الأول والثاني.
- سليمان، عامر (١٩٨٠)، تاريخ العراق القديم، ج ٢، مطبعة جامعة بغداد، بغداد.
- وآخرون (١٩٨٣)، جوانب من حضارة العراق، العراق في التاريخ، دار الحرية، بغداد.
- (١٩٨٥)، الأعياد والاحتفالات، ضمن كتاب حضارة العراق، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- (١٩٨٨)، المعبد والزقورة: اثنان من أبرز السمات المعمارية في المدينة العراقية القديمة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الخامس، مطبعة الرشاد، بغداد.
- (١٩٩٦)، من سومر إلى التوراة، ط ٢، سيبا للنشر، مصر.
- فرزات، محمد حرب؛ مرعي، عيد (١٩٩٤)، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط ٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.
- قادوس، عزت زكي (٢٠٠١)، تاريخ عام الفنون، مطبعة الحضري، الإسكندرية.
- قاشا، سهيل (د - ت)، تاريخ الفكر في العراق القديم، مكتبة الفكر الحديدي، لبنان.
- القيسي، منى عبد الكريم (٢٠١٨)، أنواع أنظمة وأشكال المصاطب البنائية الاصطناعية في العمارة العراقية القديمة، المؤتمر العلمي الاكاديمي الدولي التاسع، تحت عنوان الاتجاهات المعاصرة في العلوم الاجتماعية، الإنسانية، والطبيعية، إسطنبول - تركيا.
- كاظم، لمياء محمد (٢٠١٠)، الوركاء مدينة الحضارة الخالدة، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد ١٨، العدد ١.
- كريمير، صمويل (١٩٥٦)، من الواح سومر، ترجمة طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد.
- (١٩٧١)، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد.
- (٢٠٠٤)، الديانة السومرية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ضمن كتاب موسوعة تاريخ الأديان - الكتاب الثاني - تحرير فراس السواح، منشورات دار علاء الدين، دمشق.

- لوکاس، کرسٹوفر (۱۹۸۰)، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، منشورات دار الجاحظ، بغداد.
- لوید، سیتون (۱۹۹۳)، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة محمد طلب، دار دمشق، دمشق.
- لینتسن، هاینرش (۱۹۹۰)، العمارة في منطقة أي - أنا في عصر الطبقة الرابعة لمدينة الوركاء، ترجمة عبدالرزاق كامل ذنون، مجلة سومر، المجلد السادس والاربعون، الجزء الأول والثاني.
- الماجدي، خزعل (۱۹۹۸)، الدين السومري، دار الشروق، عمان.
- (۱۹۹۸-أ-)، متون سومر، الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
- (۲۰۰۱)، أدب الكالا أدب النار دراسة في الأدب والفن والجنس في العالم القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- المالكي، قبيلة (۲۰۰۷)، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
- محفل، محمد (د - ت)، تاريخ العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- محمد، محمد يوسف؛ كامل، هويدا احسان (۲۰۱۶)، سمات وأنماط العمارة الدينية في العراق القديم، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد ۳، العدد ۶، السنة الثالثة تشرين الأول.
- محمد، هبه ضاحي (۲۰۱۴)، أوضاع التوسل والخضوع أمام السلطة الملكية في العصر الأشوري الحديث ۹۱۱-۶۱۲ ق.م، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد ۱۸.
- مصطفى، صالح لمعي (۱۹۷۹)، عمارة الحضارات القديمة المصرية، ما بين النهرين، اليونانية، الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت.
- معدى، الحسيني الحسيني (۲۰۱۲)، أساطير العالم الأساطير السومرية، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة.
- مورتكات، أنطوان (۱۹۷۵)، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سليمان التكريتي، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد.
- موسى، رشا أكرم (۲۰۱۹)، التحولات الشكلية والمضامينية لصورة الإلهة عشتار في طبقات الأختام الأسطوانية العراقية القديمة، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ۲۷، العدد ۵.
- مهران، محمد بيومي (۱۹۹۹)، حضارات الشرق الأدنى القديم، الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية، ج ۲، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- الناضوري، رشيد (۱۹۶۹)، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، -الكتاب الأول- دار النهضة العربية، بيروت.

- هامرتن، جون (د-ت)، تاريخ العالم، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية.
- هوك، س. ه. (٢٠٠٤)، ديانات بلاد الرافدين - ديانة بابل وأشور - ترجمة نهاد خياطة، ضمن كتاب موسوعة تاريخ الأديان، تحرير فراس السواح، منشورات دار علاء الدين، دمشق.
- الوائلي، فيصل (١٩٦٥)، من أدب العراق القديم، مجلة سومر، المجلد ٢١، الجزء الأول والثاني.
- يحي، أسامة عدنان (د - ت)، الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

ملحق الصور والمخططات

(اللوحة رقم ١)

تمثالين لكاهن وكاهنة سومريين



(اللوحة رقم ٢)

تمائيل سومرية تمثل طوائف من الكهنة



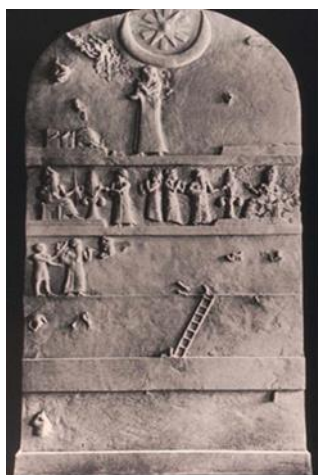
(اللوحة رقم ٣)

الكنارة الذهبية من المقبرة الملكية في مدينة أور



(اللوحة رقم ٤)

مشهد نحتي يظهر فيه الملك اورنامو يؤدي طقس سكب الماء



(اللوحة رقم ٥)

لوحة نحتية يظهر فيها الملك أور نامو يساهم في تشييد معبد



(اللوحة رقم ٦)

كاهنة تعزف على كمنارة



(اللوحة رقم ٧)

البقايا الأثرية للمعبد الابيض في الوركاء



(اللوحة رقم ٨)

جانب من زخرفة الفسيفساء لأعمدة معبد أنو بالوركاء



(اللوحة رقم ٩)

إعادة تصور للمعبد البيضوي من خفاجة



(اللوحة رقم ١٠)

إعادة تصور لرقورة مدينة أور



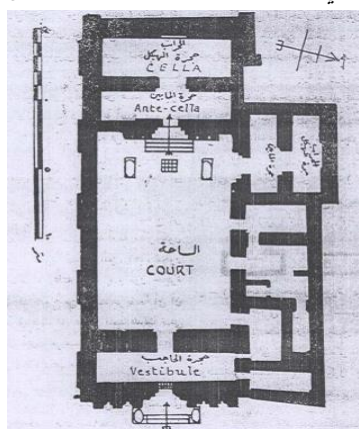
(اللوحة رقم ١١)

جزء من سلم زقورة أور



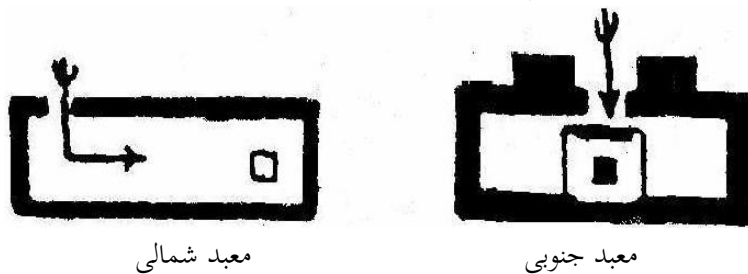
(اللوحة رقم ١٢)

مسقط أفقي لأحد المعابد الشمالية (معبد تل حرمل)



(اللوحة رقم ١٣)

مسقط أفقي يوضح الفرق بين معابد الشمال والجنوب



معبد شمالي

معبد جنوبي